الجالية اليهودية فى أسوان

فى القرن الخامس قبل الميلاد

تأليف

دكتور خالد طه الدسوقى

PH. D. CHICAGO

١٩٧٤

الجالية اليهودية في أسوان

في القرن الخامس قبل الميلاد

تأليف

دكتور خالد طه الدسوقي

PH. D. CHICAGO

١٩٧٤

الفصل الأول

نشأة الجالية اليهودية فى الفنتين[1]

لقد أماطت الأوراق البردية الآرامية التى عثر عليها فى جزيرة الفنتين[2] اللثام عن جالية يهودية عاشت فوق هـــذه الجزيرة فى القرن الخامس قبل الميلاد . ولقد عاش أفراد هذا الجالية وبصحبتهم نسائهم وأطفالهم ، وقد ظهر من الوثائق أنهم تزاوجوا فى هذا الموقع وأحياناً حدثت حوادث طلاق بينهم ، ومن وثائق أخرى قاموا بشراء وبيع منازل وأراضى وقد كانت لهم اصطلاحات خاصة استخدمت فى العقود ، وقد كشف عن الكثير من أوراق البردى التى سجلت منازعات فى هذا الشأن . وكان ليهود هذه الجالية منازلهم الخاصة كما كانوا يمتلكون العبيد ، كما شيدوا لهم معبداً خاصاً كانوا يتوجهون إليه لأداء طقوس العبادة لإلههم الذى كانوا يتعبدون له فى موطنهم الأصلى .

لقد كان بعض أفراد هذه الجالية جنودا فى حامية « حيلا » أنيط بها حماية حدود مصر الجنوبية[3] . إذ كثيرا ما نقرأ فى هذه البرديات عن خطابات موجهة « إلى أخوانى يدونياه وزملائه أعضاء الحامية اليهودية » ، كما نجد إشارات إلى أسماء الأفراد الذين أسهموا بأموالهم لصالح المعبـــد باعتبارهم « أعضاء الحامية اليهودية »[4] . لقد اتخذت الحامية اليهودية من قلعة الفنتين لها مركزا ومقرا ، كما كانت هناك أيضاً « حامية سونو »[5] التى عسكرت فى قلعة أسوان[6] . ولعل موقع جزيرة الفنتين الاستراتيجى وسط النيل . قد اضفى أهمية كبيرة وأعباء ثقيلة على الحامية اليهودية المتمركزة فى قلعتها

والتى كانت تستطيع منها مراقبة أى نشاط عدائى قد يهدد الحدود الجنوبية من جانب النوبيين . وهناك احتمال كبير أن الواجبات الملقاه على عاتق الحامية فى أسوان كانت مكملة لواجبات حامية الفنتين فى أنها كانت تراقب تحركات النوبيين القادمين عن طريق البر . لذلك يمكن القول بكل تأكيد أن حامية أسوان كانت جزءاً من حامية الفنتين التى كانت مركز القيادة الرئيسى ، وليس أدل على ذلك من أن إحدى البرديات ذكرت قائد حامية أسوان بينما ذكرت بردية متأخرة عنها اسم نفس القائد وقد حمل لقب « برترك » فى الفنتين ، الأمر الذى يوحى بأنه رقى إلى منصب أعلى[٧] .

وكان أفراد الجالية اليهودية فى الفنتين بما فيهم أفراد الحامية ينتمون إلى مايسمى « دجل » ، وهى كلمة ظهرت فى المصادر اليهودية المتأخرة وقد حملت معنى « كتيبة عسكرية »[٨] . ولقد ميزت البرديات الآرامية بين « رجال الدجل » (باعال دجل) و « رجال المدينة » (باعال قيريا)[٩] ، الأمر الذى يدعو إلى الظن بأن التعبير الأول يقصد به « العسكريون » بينما يقصد بالثانى « المدنيون » وقد وصف كثير من الرجال بأنهم ينتمون إلى دجلين ، الأمر الذى يشير إلى أنهم نقلوا من دجل إلى آخر . ومهما كان الأمر فقد كان القواد اليهود يشيرون إلى أنفسهم على أنهم « رجال الفنتين » « باعال يب)[١٠] وفى هذا إشارة إلى انتمائهم إلى القلعة القائمة فوق الجزيرة التى دائما يردف اسمها بكلمة قلعة . وكثيرا ما كان يستبدل بكلمة « دجل » العدد مائة فى البرديات الآرامية ، مما يوحى إلى الظن بأن « الدجل » كان وحدة كبيرة . وهكذا نرى أن منظماتهم العسكرية كانت مقسمة إلى مئات وهذه إلى لواءات وكان على رأس هذه الجماعات ضباط من الفرس أو من بابل[١١] . وكان جميع أفراد الحامية تحت إشراف « قائـــد الحامية »

(ربحيلا)[١٢] الذى كان مقره أسوان وغالباً ما كان يختار من الفرس[١٣].
وكان قائد الحامية يخضع بدوره لحاكم الإقليم الذى كان يحمل لقب « برترك » وهو لقب — فى أغلب الظن — كان ذا طابع عسكرى[١٤] . ويبدو أن عدد أفراد الحامية لم يكن كبيرا ، الأمر الذى يمكن استنتاجه من إحـــدى البرديات[١٥] التى سجلت الجرايات المخصصة للحامية الأسوانية وأسماء مستحقيها الذين ذكرت أن عددهم أربعة وخمسين شخصاً[١٦] وأن مثل هذه الجرايات كانت لا تصرف إلا للجنود القائمين بالخدمة فعلا ، فى الوقت الذى لا تصرف فيـــه للمسرحين الذين يتعيشون من أراض معفاة من الضرائب[١٧].

لقد لعب رجال الحامية اليهودية فى الفنتين دوراً هاماً فى خدمة أغراض المستعمر الفارسى العسكرية ، الأمر الذى أكدته البرديات الآرامية المكتشفة فى الجزيرة . ولعلهم قد قاموا بنفس الدور فى العصور السابقة للغزو الفارسى ، إذ أن هذه الجالية اليهودية قد كان لها وجود فوق الجزيرة قبل مجىء الفرس إلى البلاد ، أى قبل عام ٥٢٥ ق . م ، الأمر الذى أمكن معرفته من قول اليهود أنفسهم بأن معبدهم كان قائما أيام الملوك المصريين[١٨] . إن وجود مثل هذه العناصر اليهودية فى منطقة الشلال الأول لا يبرره سوى ضرورة ملحة ألزمت حكام مصر على استخدام مثل هذه العناصر الأجنبية فى هذه المنطقة النائية على الحدود الجنوبية . وقد تمثلت هذه الضرورة فى حماية حدود مصر الجنوبية من خطر القبائل النوبية التى كانت طوال التاريخ الفرعونى تمثل خطراً يهدد أرض الزراعة فى مصر من ناحية الجنوب ، مما اضطر فراعنة مصر إلى إقامة الحصون عند الشلال الأول ليسهل مراقبة هذه القبائل وكسر شوكتهم وردهم على أعقابهم إذا ما حدثتهم نفوسهم بالهجوم عليها .

وبذلك نستطيع أن نقول بشكل تأكيد أنه منذ تواجد هذه العناصر اليهودية فى منطقة الشلال الأول ، عملت فى الخدمة العسكرية ، إذ أن منطقة الشلال الأول لا يمكن أن توفر العيش الرغد للمقيمين فيها بل لا تشجع على الاستمرار فى البقاء فيها لفقر زراعتها وقسوة مناخها . علاوة على ذلك فالاشتغال بالتجارة أو الملاحة أو قطع الأحجار يحتاج إلى مهارة ودربة اكتسبهما أهل البلاد الاصليين على مر الأيام والسنين . لقد سمح لهؤلاء اليهود ببناء معبد لإلههم بجوار معبد الإله خنوم ، اله منطقة الشلال الأول . وإذا كان هذا إمتيازا اختصهم به حكام مصر ، فلا بد أنه كان لقاء خدمة جليلة كانوا يؤدونها ،وليس هناك خدمة أجل واسمى من الدفاع عن حدود البلاد الجنوبية .

ولكن لنا أن نتساءل متى نشأت هذه الجالية اليهودية فى الفنتين .

إختلفت الآراء حول تاريخ قيامها . فأقرب هذه الآراء تاريخاً يؤرخ قيامها فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأبعدها يؤرخ قيامها فى القرن السابع قبل الميلاد . وأول هذه الآراء نادى بأن مؤسسى الجالية اليهودية فى الفنتين كانوا من جنود الملك منسى ملك يهوذا الذين ذهبوا إلى مصر مع قوات آشور بانيبال فى حملته عليها عام ٦٦٧ ق . م وتركوا على الحدود الجنوبية لحمايتها .[١٩] والرأى الثانى يرجع تأسيس الجالية اليهودية إلى عهد الملك بسماتيك الأول (٦٦٤ — ٦٠٩ ق . م) . إذ أن هذا الملك الوطنى ، بعد إستعادة مركزه فى مصر على أثر غزو آشور بانيبال لمصر مرة ثانية عام ٦٦٣ ق . م ، إنتهز فرصة إنشغال آشور بأطماعها فى آسيا الصغرى والشمال وكشف النقاب عن وجهة وتحدى سلطان آشور وصمم على توحيد البلاد تحت إمرته . وفى تلك الأثناء طلب مساعدة جوجيس ملك ليديا الذى أمده

بقوة من المرتزقة الايونيين والكاربيين ساعدته فى تثبيت سلطانه وتحقيق إستقلاله .(٢٠)

لقد كان المحاربون الليبيون أكبر منافس لبسماتيك بعد انتصاره وتحقيق استقلال البلاد ، خاصة بعدأن احسوا بضياع نفوذهم وسلطانهم فى عهده بعدأن أخذ يختار حراسه وخاصة أوليائه من الإغريق . فليس غريبا أن يصبحوا ألداعدائه بل وأخذوا يكرهونه أشد الكرة ويخشون خطره وشدته ويشعرون أنهم لن يستطيعوا مقاومته إذا مااستعان عليهم بالإغريق (٢١) وإذاصدقناماقاله هيرودوت (٢٢) فهناك احتمال كبير أنه فى مثل هذه الظروف ثارت حامية الفنتين . فيحدثنا بأن الجنود المصريين كانوا يقومون بالحراسة فى الفنتين ثلاثة أعوام ولم يأت أحد ليعفيهم من هذا العمل فتشاوروا وقرروا بالإجماع الثورة على بسماتيك والذهاب إلى إثيوبيا . وتعقبهم بسماتيك وحاول إقناعهم بألا يهجروا آلهة آبائهم وأولادهم ونسائهم ولكنهم قدموا أنفسهم إلى ملك الاثيوبيين وساعدوه ضد بعض من ثاروا عليه فكافأهم بإعطائهم أرضا يسكنونها . ويرى البعض فى هذه القصة صدى لهجرة غالبية طبقة الليبيين المحاربين الذين احسوا أنهم فقدوا كل ما كان لهم فى مصر من سلطان فآثروا الالتجاء إلى ملك الأثيوبين(٢٣). وفى مثل هذه الظروف ، رأى بسماتيك أنه من الحزم وبعد النظر ضرورة إعادة تكوين حامية جديدة فى الفنتين قد تكون قد تضمنت جنودا مرتزقة آسيويين من بينهم أعداد من اليهود .

وقد يؤيد وجود يهود فى حامية الفنتين أيام الملك بسماتيك الأول ، أنه على أيام هذا الملك أعلن قانون تثنية الاشتراع فى مملكة يهوذا عام ٦٢١ ق.م (المدون فى سفر التثنية)فى عهدالملك يوشياوالذى جاء فيه ذكر عن إرسال يهود إلى مصر (٢٤) لحتى لاتعظم قوة ملوك يهوذا مستقبلا نص فى سفر التثنية على

أن الملك « لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر لكى يكثر الخيل »[٢٥]. وقد فسر هذا النص على أنه كانت توجد تجارة نشطة تدور حول إرسال جنود من اليهود إلى مصر فى مقابل خيل[٢٦]. وفى أغلب الظن أن كلمة شعب فى هذا النص قد قصد بها مجموعة من أفراد الشعب اليهودى لا الشعب بأكمله. فمن الجائز أن أحد الملوك اليهود السابقين على يوشيا — وربما يكون منسى — قد أمد بسماتيك الأول بقوة من اليهود مقابل تزويده بعدد من الخيول المصرية[٢٧]. وانطلاقا من هذا المفهوم، منعت الشريعة الجديدة الملوك اليهود من اتخاذ مثل هذا الإجراء فى المستقبل. ومن المحتمل أن هذه القوة اليهودية قد جندها الضباط المصريون أنفسهم حينما استولى بسماتيك الأول على مدينة اشدود التى حاصرها تسعة وعشرين عاما[٢٨] أو حصلوا عليها بطريق التفاوض مع ملك يهوذا.

وينادى الرأى الثالث بأن تأسيس الجالية اليهودية فى الفنتين ذا صلة وثيقة بقوانين الإصلاح التى وردت فى سفر التثنية والتى نادت بتطهير الديانة اليهودية من بعض العادات والتقاليد القديمة التى أصبحت غير مقبولة عند طائفة الانبياء والكهنة الذين حملوا لواء التغيير. فقد هدمت كل المعابد ولم يعترف إلا بمعبد بيت المقدس كمكان تقدم فيه الاضاحى.[٢٩] وأن مثل هذه التغيرات الجذرية، التى كان وراء تنفيذها الاداة السياسية، قد اثارت — بدون شك — حقد طائفة كبيرة من اليهود الذين فضلوا البقاء على معتقدات ديانتهم القديمة. ولنا أن نتصور أنه فى ظل هذه الموجة الثائرة وهذا الغضب الجامح، ان يفكر كثير من اليهود فى الهجرة من فلسطين خاصة طائفة الكهنة الذين فقدوا وظائفهم على اثر هدم معابدهم. وبما أن مصر كانت دائما الواحة التى يلجأ إليها المضطهدون والمغضوب عليهم فى فلسطين، فلا نستبعد أن هؤلاء

الكهنة هاجروا إليها حيث سمح لهم بتشييد معبد لهم فيها . ومن الطريف أن ديانة الجالية اليهودية فى الفنتين هى نفس الديانة اليهودية التى كانت متبعة فى فلسطين قبل إعلان قوانين الإصلاح . وقد يبدو هذا الرأى مقبولا إلا أنه يصعب تبرير السبب الذى من اجله استقر هؤلاء المهاجرون فى الفنتين .

ومن المؤرخين من يرجع تأسيس الجالية اليهودية فى الفنتين إلى عصر بسماتيك الثانى [٣٠] (٥٩٣ — ٥٨٩ ق . م) . إذ نقرأ فى خطاب Aristeas الذى يرجع تاريخه إلى حوالى عام ١٢٠ ق . م — فى معرض حديثه عن المناسبات التى حضر فيها اليهود إلى مصر ما يلى : « وحتى قبل هذا الزمن (يشير إلى أيام بطلميوس) أتت أعداد غفيرة من اليهود إلى مصر فى رفقة الفرس كما وفد إليها أعـــداد أخرى فى زمن سابق لمساعدة بسماتيك فى حملته ضد ملك الاثيوبيين . » [٣١] ويفترض كل من Sauneron, Yoyotte [٣٢] أن بسماتيك المقصود فى هذا الخطاب هو بسماتيك الأول وليس بسماتيك الثانى باعتبار أن مملكة يهوذا عام ٥٩١ ق . م ، أى إبان حكم بسماتيك الثانى ، كانت لاتستطيع إرسال مرتزقة من اليهود إلى مصر .

ويحتمل أن بسماتيك الأول قد استخدم جنود يهود فى إحدى حملتيه ضد تانوت آمون . وما من شك فى أن اليهود المرتزقة قد اشتركوا فى الغزوة الاثيوبية التى قام بها بسماتيك الثانى ، ولكن هؤلاء اليهود كانوا من الذين أقاموا فى مصر منذ فترة ولم يحضرهم بسماتيك الثانى من مملكة يهوذا لهذا الغرض [٣٣] . ولكن من الصعب الأخذ بهذا الرأى لأن علاقات بسماتيك الأول بالاثيوبيين كانت سلمية ، وفى خلال عهده كان اهتمام الأسرة الجديدة فى سايس نحو منطقة البحر المتوسط وسوريا أكثر من منطقة الجنوب واثيوبيا .

كذلك فإن الملك الذى قاد فعلا حملة ضد أثيوبيا هو بسماتيك الثانى

عام ٥٨٩ — ق.م.[٣٤] علاوة على ذلك ، فمن المعروف أن بسماتيك الثانى وجه حملة ضد فلسطين فى العام السابق لحملته النوبية [٣٥] ، الأمر الذى يسر له السبيل لتجنيد قوة يهودية . لقد اشترك فى هذه الحملة النوبية قوات إغريقية وفينيقية تركت وراءها نقوشا بالإغريقية على أحد تماثيل رمسيس الثانى الضخمة فى معبد أبو سمبل[٣٦] . وفى ضوء خطاب Ariteas ، يمكن افتراض وجود قوات يهودية اشتركت مع القوات الاغريقية والفينيقية فى الحملة النوبية السالفة الذكر ، وكانت هذه الفرقة اليهودية من ضمن القوات التى تركت لتقوم على حماية الحدود الجنوبية بعد انتهاء الحملة من مهمتها . وإذا صح هذا الافتراض ، تكون هذه الفرقة اليهودية قد حذت حذو الفرقة النوبية التى استخدمت فى الجيش المصرى أيام الدولة الحديثة والتى حافظت على النفوذ المصرى فى آسيا ثم بعد انتهاء مهمتها اتخذت لها معسكرا فى دفناى ، فى الشمال الشرقى من الدلتا ، والتى حملت اسمهم « قلعة الزنوج » [٣٧] .

ومن النظريات التى نالت تأييداً كبيراً بين جمهرة المؤرخين ، نظرية نادت بأن الجالية اليهودية فى الفنتين قامت عقب سقوط بيت المقدس عام ٥٨٧ ق . م . فلقد شجع ابريس ، خليفة بسماتيك الثانى على عرش مصر ، اليهود والطوائف الفلسطينية الأخرى على الثورة ضد بابل ، الأمر الذى إضطر معه نبوخذ نزار إلى تجريد حملة استولت على بيت المقدس[٣٨] . وليس من المستبعد أن يكون اليهود أحلاف فرعون مصر قد هربوا إليها عند اقتراب الجيش البابلى من بيت المقدس وعندما عجز فرعون عن إرسال المدد إليهم . وليس من المستبعد أيضا أن فرقا كاملة من القوات اليهودية فى فلسطين قد تركت مراكزها فى جنوب المملكة ويممت شطر مصر لتكون لهم ملجأ وملاذا ومن المحتمل أنه ، فى هذه الظروف ، شيد اليهود

اللاجئون فى مصر لإلههم معبداً يكون بديلا عن المعبد الذى هدمه البابليون فى بيت المقدس . وقياسا على ما منحه أحد الملوك البطالمة من تأييد لأحد كبار الكهنة الذين التجأوا إلى الدلتا حيث شيد معبداً فى ليونتو بوليس ، يمكن القول بأن شيئاً من هذا القبيل قد حدث على يدى إبريس الذى يحتمل أنه مد يد المساعدة إلى أحد كبار الكهنة اليهود الذين لجأوا إلى مصر عقب هدم المعبد فى بيت المقدس(٣٩) .

وإذا فرض أن أولئك اليهود الذين ظلوا على قيد الحياة بعد الغزو البابلى قد وجدوا أن حياتهم فى فلسطين أصبحت تتسم بالجفاف والقسوة بعد أن خرب البابليون أرضهم ، فيكون منطقيا أن يذهبوا إلى مصر حيث الحياة أفضل وأن فريقا منهم أقام فى الفنتين(٤٠) . وفى هذا المجال لا ننسى ما كان من أمر بعض اليهود الذين هربوا إلى مصر بعـــد الغزو البابلى وفى صحبتهم النبى أرميا (٤١) .

ولكن يبدو أن المعلومات التى يمدنا بها سفر أرميا لا تؤيد قيام الجالية اليهودية فى هذا الوقت بالذات ، إذ الواضح من رواية سفر أرميا أن عدداً كبيراً من اليهود كانوا يعيشون فى مصر عند وصوله إليها . ويتضح ذلك من قوله : « الكلمة التى صارت إلى أرميا من جهة كل اليهود الساكنين فى أرض مصر ، الساكنين فى مجدل وفى تحفنحيس وفى نوف وفى أرض فتروس»(٤٢) . أن الأماكن الثلاثة الأولى المذكورة فى رواية أرميا معروفة لنا(٤٣) ، أما الاسم الرابع فقد ورد فى حوليات الملك الآشورى أسارحدون الذى ذكر أنه « غزا موصور (مصر) وباتوريسى وكوش (النوبه)»(٤٤) .

ويتضح من هذا أن باتوريسى ليست إلا منطقة فى الوجه القبلى تقع فى نطاقها جزيرة الفنتين(٤٥) . ولكن بما أن هذه الأخيرة لم تذكر صراحة فلا يمكن

معرفة ماإذا كانت هناك جالية يهودية على أيام أرميا . وكل مانعرفه أنه كان يوجد يهود فى باتوريسى الذين استمع مندوبون عنهم لمقالته[٤٦] . وكان لهؤلاء اليهود معبد ، إذ أن التحذيرات التى قدمها أرميا لليهود فى مصر والتى نصت على ألا يستخدموا اسم يهواتوجى بأنه كان هناك معبد قائم خاص بهم .

وقد يكون للنقش الذى يحمله تمثال نسحور الذى عثر عليه فى الفنتين دلالة بخصوص تاريخ قيام الجالية اليهودية فوق الجزيرة . لقد كان نسحور يحمل لقب « قائد بوابة الأقطار الجنوبية »[٤٧] فى عهد الملك ابريس[٤٨] . (٥٨٩ — ٥٦٩ ق . م) لقد كان من بين العناصر الأجنبيـــة التى ذكرها نسحور السوريون (عامو)[٤٩] وسكان جزائر البحر المتوسط من الإغريق (الحاونبو) والأسيويون (الستيو) ، مما يحمل على الظن أنه كان يعيش فوق جزيرة الفنتين فى هذا الوقت جالية من عناصر شتى .

ويقص علينا نسحور أن جنود الحامية الألفنتينية ثاروا ودبروا خطة الهرب إلى النوبة ، ولـكنه قادهم « إلى حيث يوجد جلالة الملك (إبريس) » الذى أنزل بهم عقابه . وقد يكون هذا هو الوقت الذى شهد نهاية الحامية التى أقامها بسماتيك الأول (أو الثانى) فوق الجزيرة ، ومن ثم كان يجب إقامة حامية جديدة مكان الأولى والتى تضمنت عناصر يهودية[٥٠] . ولـكن نلاحظ أنه لا توجد أسماء إغريقية فى البرديات الآرامية التى تحدثت عن أحوال الجالية اليهودية فى الفنتين خلال العصر الفارسى . لذلك يغلب على الظن أن العناصر الإغريقية قد تركت الجزيرة فى الوقت الذى كتبت فيه هذه البرديات . ولـكن كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟

نعرف أن أمازيس (٥٧٠ — ٥٢٦ ق . م) اغتصب العرش بفضل مساعدة المصريين له بينما ساعد الإغريق والـكاريون إبريس[٥١] ، وبالرغم

من ذلك فقد أظهر أنه لا يمكن أن يستغنى عن الجنود الإغريق ولذلك قام بعمل نظام جديد لإقامة الإغريق فى مصر دون إغضاب الأهلين بقدر المستطاع وذلك أنه عمل على إزالة الحامية الإغريقية السكارية التى كانت تقع على فرع النيل البلوزى وذلك بنقل جنودها إلى منف(٥٢) وجعلهم يخدمونه بوصفهم حرسه الخاص . وإن عدم وجود إغريق فى الفنتين فى العهد الفارسى يوحى إلى التفكير فى أن أمازيس لم يكتف فقط بنقل الجنود الإغريق من المعسكرات بل كذلك أجلاهم من أماكنهم الأخرى إلى منف .

ومما هو جدير بالذكر أن يهود الجالية فى الفنتين أيام الحكم الفارسى كانوا يكثرون الإشارة إلى أنفسهم على أنهم « آراميو سـوتو » و« آراميو يب »(٥٣) أى الآراميون الذين يقطنون أسوان والفنتين ، علاوة على أنهم كانوا يتكلمون اللغة الآرامية(٥٤) إن اليهود الذين وفدوا على هذه المنطقة فى القرن السابع قبل الميلاد كقوة حربية أو فى القرن السادس كلاجئين، كانوا — بكل تأكيد — يتكلمون اللغة العبرية(٥٥) . ومن الواضح أنهم هجروا العبرية إلى الآرامية فى الوقت المعاصر لكتابة البرديات الآرامية التى عثر عليها فوق الجزيرة . لقد أصبحت اللغة الآرامية لغة المراسلات بين البلاط الفارسى والولايات التابعة له فى غرب آسيا ، بل لقد استخدمت الأبجدية الآرامية فى كتابة اللغة الفارسية(٥٦) . وإن البرديات الآرامية التى عثر عليها فى جزيرة الفنتين كلها وثائق رسمية أو قانونية ، الأمر الذى يدعو إلى الاعتقاد بأن الآرامية اقتصرت على كتابة مثل هذه الوثائق دون الاستعمال اليومى ، ولكن من الصعب قبول هذا الافتراض لأن اللغة لا يمكن أن تعيش وتبقى إلا من خلال شعب يتحدث بها ويتكلمها .

ويمكن القول بأن يهود الفنتين قد استوعبتهم بيئة يتكلم سكانها

الآرامية . إذ أن أسوان لم تكن المكان الوحيد الذى عاش فيه الآراميون فى مصر ، بل عاشوا أيضاً فى منف وهرموبوليس وغيرها ، الأمر الذى يستدل عليه من العثور على برديات ونقوش آرامية فى هذه الأماكن . ولكن متى وفد الآراميون إلى مصر بهذه الأعداد الغفيرة التى ساعدتهم على تكوين جاليات أمكنها أن تستوعب اليهود وغيرهم من ذوى اللسان الكنعانى ؟ من المحتمل إلتجاء كثير من الآراميين إلى مصر على أثر سقوط دمشق عام ٧٣٢ ق . م ، كما أن الظروف التى أدت إلى وفود اليهود إلى مصر والتى ذكرت آنفا ، قد تكون أيضاً أدت إلى مجىء الآراميين إليها . وإن عدم وجود نقوش آرامية أو عبرية بين نقوش أبو سمبل يدعو إلى القول بأنه لم يكن يوجد مرتزقة آراميين أو يهود بين جنود بسماتيك الثانى عام ٨٥٩ ق.م وقد يكون الجنود المرتزقة الإغريق هم الذين تسببوا فى الثورة أيام إبريس . ومن الجائز أن يكون السوريون الذين ذكرهم نسحور آراميين ولكن يحتمل أن يكونوا فينقيين (أخذا فى الاعتبار نقوش أبو سمبل)[٥٧]. والرأى الأكثر احتمالا أن العناصر التى كونت الحامية الجديدة فى الفنتين احتوت عناصر آرامية بلغ من قوة نفوذها أن فرضت لغتها على بقية أفرادها . وفى يقينى أن عناصر يهودية قد وفدت على هذه الجالية فى زمن لاحق — ربما فى عهد أمازيس (٥٦٩ — ٥٢٦ ق . م) واستمرت فى خدمة الفرس . ومن المؤكد أن اليهود كانوا قد اصطبغوا بالصبغة الآرامية عام ٤٩٥ ق . م فى الوقت الذى كتبت فيه أول بردية آرامية عثر عليها فى الفنتين[٨٥] .

الفصل الثانى

الحياة اليومية بين أفراد الجالية اليهودية

بينما ظل المصريون يستخدمون لغتهم الوطنية التى أصبحوا يكتبونها بالخط الديموطيقى، استخدم يهود الجالية فى الفنتين اللغة الآرامية التى أصبحت وسيلة الاتصال بين الوالى الفارسى فى مصر ومرءوسيه[1] .

لقد كانت الآرامية لغة الحياة اليومية بين هؤلاء اليهود ، واستخدموها فى التخاطب والكتابة[2]. ولعل الاعتقاد الذى كان سائداً بين العبرانيين بأنهم يمتون للاراميين بصلة القرابة ، سهل عملية إندماج اليهود بالآراميين فى المجتمعات الأجنبية التى كانوا يكونون أحد عناصرها ، بل واتخاذ لغتهم وتكييف أسلوب حياتهم كما لو كانوا ينتمون إلى هذه القومية[3]. لم يعتبروا أنفسهم مواطنين ، بل كانوا يطلقون على أنفسهم إما « آراميو يب القلعة » أو « آراميو سونو القلعة »[4] وفى بعض الأحيان « يهود الفنتين »[5]. والجدير بالملاحظة أنه لم يوجد بين أفراد الجالية من أطلق عليهم « يهود أسوان » مما قد يشير إلى أن الفنتين كانت المقر المخصص للعناصر اليهودية .

لقد كان للجالية اليهودية فى الفنتين رئيس ، أشارت البرديات إلى أن أسمه يدونياه بن جمارياه الذى كان يمثلها فى المفاوضات مع السلطات الفارسية والذى كان يجمع التبرعات الخاصة بالمعبد[6]. ومن المحتمل أن يكون رئيس الجالية من رجال الدين، إذ كثيرا ما يذكر اسمه مع « زملائى الكهنة فى الفنتين القلعة » . ويبدو أنه حينما ازدحمت الحياة فوق جزيرة الفنتين وأصبحت

الحاجة ماسة إلى إنشاء معسكرات جديدة لتدريب جنود الحامية ، اتجه أفراد الجالية إلى أسوان التى تقع إلى الشرق من الجزيرة واتخذوا منها سكناً ، فنجد بعض أفراد الجالية مثل أنانيا بن هاجاى قد امتلكوا بيوتاً فى كلا من الفنتين وأسوان ، وربما لهذا السبب أطلقوا على أنفسهم تارة « رجال الفنتين » وتارة أخرى « رجال سو نو » . وعلى أى حال فسواء أقام الفرد فى الفنتين أم فى أســـوان، ففى كلا الحالتين يمكن أن ينتمى إلى نفس « الدجل »[٧] .

لقد كانت الجرايات تصرف عينا لجنود الحامية من « خزانة الملك » الكائنة فوق الجزيرة وكانوا يتسلموها من « منزل الملك »[٨] . الذى كان بمثابة ديوان الحكومة[٩]، حيث أن الملك لم يكن مقره أسوان أوالفنتين. ففى عام ٤٨٤ ق . م اعترف اثنين من اليهود باستلام خمسة وخمسين أردب من الشعير والفول من مراكبى مصرى ، وكانت هذه تمثل الجرايات الخاصة لمثنين من الجنود ، كل يحصل على ما يزيد على مكيالين بقليل . ثم يقوم هذين اليهوديين بتسليم الحبوب أمام رئيس « المائة » ورؤساء «منزل الملك» وكتبة الخزانة[١٠] . ولقد كانت الحبوب التى تأتى من « إقليم الجنوب » ، الذى يمتد من الفنتين حتى أرمنت جنوب طيبة ، تمثل جزءاً مهما من التموين المخصص للحامية فى أسوان ، بجانب ما تتسلمه من إقليم طيبة[١١] .

لقد كانت القضايا تستأنف أمام الوالى الفارسى Satrap الذى يصدر فيها حكمه النهائى ، ولكن فى أحوال كثيرة كان ينظر فى القضايا قضاة يقف بجانبهم قائد الحامية . إذ كثيرا ما نجد إشارات إلى « قضاة الملك وراوا كا قائد الحامية » و « نفايان قائد حامية سو نو وقضاة الإقليم »[١٢]،مما يحمل على الظن أن قائد الحامية كان يمارس سلطات قضائية . وفى حالة واحدة نجد

قضية منظورة أمام رمندين البرترك وويدرانج قائد الحامية بدون ذكر القضاة ، كما نظرت قضية تبنى أمام قائد الحامية الذى اتخذ لقبا اضافيا « هيتحپتا » ولم يقف بجانبه شركاء أو مساعدون[١٣] . وفى بعض الحالات كان يشترك مع القاضى مساعد الحاكم « ساجان » وكتبة الإقليم ومحاسبو الخزانة و « منفذو الأوامر » والشرطة[١٤] .

لقد اعتمد الفرس كلية ، أثناء حكمهم لمصر ، على أفراد الجالية اليهودية فى الفنتين فى تنفيذ مآربهم وتحقيق أطماعهم ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان الفرس لا يثقون فى أن يحارب المصريون من أجلهم . لقد كان ولاء اليهود للعاهل الفارسى كثيرا ولا أدل على ذلك من أنهم احتفظوا لديهم فوق الجزيرة بنسخة من تاريخ حياة الملك دارا الأول كانت مكتوبة بالآرامية ، علاوة على ذلك فقد أعدوا نسخة أخرى حينما بليت النسخة الأولى من كثرة الاستعمال[١٥] . ولعل هذا الولاء قد وجد منذ البداية حينما غزا قمبيز مصر . إذ جاء فى خطاب باجواس من الفنتين ، أنه حينما غزا قمبيز مصر هدم كل المعابد ما عدا معبد اليهود فى الفنتين[١٦] . ويبدو محتملا أن الملك قمبيز ، فى محاولته تحسين موارد الدولة ، قد ضيق الخناق على كهنة المعابد وأغل يدهم بحيث لم يعد لديهم الحرية فى التصرف فى أموال معابدهم . وبدون شك تأثرت كثير من المعابد بنقص مواردها ، الأمر الذى روج لإشاعة قسوة قمبيز تجاه المصريين . وهناك احتمال كبير أن أفراد الجالية اليهودية فى الفنتين قد ساعدوا قمبيز أثناء غزوه لمصر أوعلى الأقل لم يبدوا أى مقاومة ضده مما كان السبب فى عدم المساس بمعبدهم أو بموارده .

لقد لعب يهود الفنتين دوراهاما فى التجسس لحساب المستعمر الفارسى خاصة على الاثيوبيين القاطنين فيما وراء الحدود الجنوبية . اذ يقص لنا

هيرودوت [١٧] أن الملك قمبيز ارسل « أكلة السمك » فى جزيرة الفنتين إلى الاثيوبين حاملين معهم الهدايا ، ولكن فى حقيقة الامر كانت مهمتهم التجسس لحساب السيد الفارسى. وهناك احتمال كبير بان المقصود بأكلة السمك هؤلاء يهود حامية الفنتين ، إذ نعرف أن اليهود اشتهروا باكل السمك فى موطنهم الاصلى حيث كان أهل صور يبيعونه لهم والذى كان يعتبر أهم سلعهم. [١٨] كما استخدم الفرس أيضا يهود الحاميه فى جلب الحبوب من بلاد النوبه . [١٩] لقد كانت مصر من أهم الولايات الفارسيه عند الملك الفارسى ، إذ كانت تزود التاج بدخل كبير حيث انها كانت تمده بسبعمائة تالنت وهو ضعف المبلغ الذى كانت تمده به سوريا وفلسطين مجتمعين. [٢٠] ولا شك أن جزءا من هذا الدخل كان يأتى من الضرائب الجمركيه التى كانت تفرض على البضائع التى تدخل البلاد خاصة من جهة الجنوب . ومن البديهى أن يترك الفرس تحصيل مثل هذه الضرائب فى يد افراد الجاليه اليهوديه فى الفنتين . فهذا باجاز وشت بن بزو كان يحمل لقب « رجل الفضه » [٢١] مما يحمل على الظن أن عمله كان مرتبطا بتحصيل الضرائب على الحدود الجنوبية ، وهو فى هذا يشبه ابر الذى كان يحمل لقب « بارخ ـ حد » أى « مراقب الجمرك » والذى ورد ذكره فى أحد البرديات الديموطيقيه من الفنتين [٢٢]

وفى أثناء قيام الثورات الوطنيه ضد الحكم الفارسى ، كان يهود الحامية يقفون موقفا أقرب إلى الفرس منه إلى المصريين. لقد اشارت احدى البرديات [٢٣] إلى قيام ثورة وطنيه ضد الفرس عند تولى دارا الثانى العرش عام ٤٢٤ ق . م. وفى أثناء الثوره لم يترك اليهود مراكزهم ولم توجه إليهم تهمة الخيانه ، وفى هذا دليل على انهم ساعدوا على إخماد الثوره فى منطقتهم ، وبهذا جلبوا على أنفسهم سخط المصريين الذين بدأوا يتحينون الفرصة للانتقام .

لقد احقدت أمثال هذه المواقف قلوب المصريين تجاه اليهود وجعلتهم يعاملونهم معاملة تشوبها القسوه فى بعض الاحيان . ومن أمثلة ذلك أنه أثناء ثورة أناروس ضد الحكم الفارس أيام ارتا كسركسيس الأول (٤٦٥ — ٤٢٥ ق . م) اضطر احد يهود الجاليه فى الفنتين أن يتفاوض لاقتراض سلفة من أحد المصريين . لقد كانت الشروط قاسيه ، إذ كانت الفائدة الشهريه كبيره وكانت تدفع من مرتب المدين مباشرة من الخزانه ، وإذا لم تدفع فى ميعادها ، تضاف الفائدة إلى القرض . علاوة على ذلك فقد كانت الفائدة تدفع بمقتضى مثقال بتاح وليس بمقتضى مثقال الملك ، تعبيرا عن استعادة النفوذ المصرى والحريه المصريه .(٢٤) وبالرغم من مظاهر الولاء التى كان يهود الفنتين يبدونها تجاه اسيادهم الفرس ، إلا انهم فى بعض الأحيان — خاصة فى السنوات الاخيرة من الحكم الفارسى ـ بدأوا يغيرون من ولائهم . ففى برديه ترجع إلى السنه الخامسه من ثورة اميرتايوس الثانى عام ٤٠٥ ق . م ، وعد مناحيم ، أحد الاراميين فى الفنتين ، بدفع شكالين وستاتر لزوجته(٢٥) وأن استخدام الستاتر كوحدة للتبادل والتعامل بين يهود الجاليه فى هذا الوقت لدليل على بداية تحول ولاء اليهود عن الفرس وبداية ازدياد النفوذ الاغريقى الذى سيبلغ قمته فى العصر التالى .

وبالرغم من التعاون الوثيق بين الجاليه اليهودية فى الفنتين وبين المستعمر الفارسى ، إلا أنه فى بعض الاحيان لم يسلم الفرس من اعتداءات بعض أفراد من اليهود ، كما حدث حينما اتهم شخص فارسى يدعى فاراتا فرنيس بن ارتا فرنيس المدعو مالكياه بن يوشيبياة باقتحامه منزله وضربه لزوجته وسرقته لامتعته ، الامر الذى جعل المحكمه تفرض عليه أن يقسم بانه لم يقترف ما اتهم به .(٢٦) وفى أحيان أخرى كان اليهود يعتدون على ممتلكات بعضهم

بعضا ، كما حدث حينما اتهم مشولام بين ناثان مناحيم بن شالوم بأنه استولى على حمار كان يمتلك نصفه ،ولكنه عوض عن ذلك بأن أعطى حماراذكرا(٢٧) كما ادعى ماحسياه بن شيباه أن سمكا قدسرق منه.(٢٨) لقد كانت أمثال هذه الاعتداءات مدعاة لأن يأخذ المصريون حذرهم ويفكرون فى حماية أنفسهم من جيرانهم اليهود ، خاصة فى أوقات الشدة حينما تسوء الامور وتقوم الثورات الوطنيه فى وجه المستعمر الفارسى. لذلك نرى المصريين وقد بنوا لأنفسهم فوق الجزيرة ما تسميه البرديات الارامية « حنپنا » وهى كلمة أعتبرها البعض تحمل معنى «ملجأ» يأوى إليه المصريون ساعة الشدة ووقت الخطر .

لقد عاش يهود الفنتين فى منازل بنيت من اللبن ولم يستعمل الحجر إلا فى أعتاب الأبواب والنوافذ وفى الدرج . وفرضت ندرة الخشب فى وادى النيل على بناء هذه المنازل أن يستغنى نهائيا عن الأعمدة الخشبية التى تستعمل فى حمل الأسقف التى شيدت على هيئة أقباء. (٣٠) وكانت حجرات المنازل ضيقة، طولها أكبر من عرضها وقد اعتنى ببناء جدرانها السميكة حتى تقوى على حمل الاقباء التى تعلوها . وفى المساكن ذات الطابقين ، كانت تملاء الفجوات بين الاقباء باللبن أو الجص حتى يصبح السطح مستويا لاستعماله كارضية لحجرات الدور العلوى التى كان يتم الوصول إليها عن طريق فتحة فى السقف المقبى . وفى بعض الأحيان يستعمل درج خارجى يوضع فى الفناء . (٣١) وقد تتجاور منازل اليهود ومنازل المصريين فوق الجزيرة، كما جاء فى إحدى البرديات بأن منزل أحد المصريين ويدعى حور كاهن الاله خنوم يقع إلى الشرق من منزل أحد اليهود(٣٢) وفى بردية أخرى نجد ان المنزل الذى اعطاه أحد اليهود لابنته ملاصق « جدار لجدار » لمنزل قنحنتى المصرى (٣٣) .

لقد كان الزواج بين أفراد الجالية اليهودية فى الفنتين يتم طبقا للتقاليد الشرقية

القديمة والتى لا تزال قائمة فى المجتمعات الشرقية الحديثة . فكان الاتفاق يتم غالبا بين الزوج ووكيل الزوجة الذى غالبا ما يكون والدها . وبعد الاتفاق على الزواج يعطى الزوج صداق زوجته « موهار » إلى وكيلها . وما على الزوجة بعد ذلك إلا أن تحضر كل امتعتها الخاصة معها إلى بيت الزوجية بعد توثيق عقد الزواج [٣٤] . ولقد كان الصداق كبيرا بالنسبة للعذارى عنه بالنسبة للارامل والمطلقات [٣٥] وفى بعض الأحيان كان الزوج لا يعطى الصداق ، كما هى العادة لوالد الزوجة بل لاخيها [٣٦] وفى أحيان أخرى كانت أم الزوجة تعطى الزوجين هدية لا يحق لها استردادها كما هو منصوص فى عقد الزواج.[٣٧] وإذا طرد الزوج زوجته من منزل الزوجية يحرم عليها معاشرة رجل آخر وإذا أخلت بهذا الشرط فيحق لزوجها أن يطلقها ، كما لا يحق للزوج أن يتزوج امرأة آخرى وإذا فعل ذلك فللزوجة الحق فى تطليقه . كما كان محرما على الزوج أن يشترك مع زوجة زميله فى مقاضاة زوجته ، كما كان يحرم على الزوجة من أن تشترك مع رجل آخر فى مقاضاة زوجها ،[٣٨] وفى عقد الزواج كان يسجل أنه إذا صرح الزوج بأن له زوجة أخرى وإن له أولاد منها ، كان عليه أن يعطى زوجته مبلغا يقدر بعشرين كارش ، كما نص فى عقد الزواج أن يتعهد الزوج بالا يحبس ممتلكاته أو أمتعته عن زوجته والا تعرض لدفع مبلغ عشرين كارش لها [٣٩] .

ولقد كان حق الطلاق مباحا لكل من الزوج والزوجة ، كل يستطيع أن يطلق الآخر . فاذا ما طلق الزوج زوجته لا يحق له أن يسترد الصداق وللزوجة الحق فى أخذ امتعتها إلى بيت والدها . أما إذا طلقت الزوجة زوجها ، وجب عليها فى هذه الحالة أن تدفع لزوجها ما يسمى « نفقة الطلاق » ولكن تحتفظ بحقها فى استرداد امتعتها [٤٠] ولم تكن « نفقة الطلاق » هذه غرامة يدفعها أحد الطرفين بل كانت بمثابة مصاريف الإجراءات القضائية . وإذا لم يذكر فى الوثائق

أن الزوج قد دفع هذه النفقة للزوجة المطلقة ، فقد يكون السبب فى ذلك أن العرف قد جرى على أن يسلم الزوج هذه النفقة إلى المحكمة.[٤١] وبجانب الأمتعة التى تستردها الزوجة المطلقة كانت أيضاً تأخذ معها وثيقة الزواج . وفى حالة إدعاء الزوج أن بعضا من أمتعة مطلقته تخصه كانت هذه الأخيرة تؤدى قسما بأن هذه الأشياء من أمتعتها وتخصها .ومن ثم يعلن الزوج « أن قلبى راض بهذا القسم الذى اديتيه بشأن هذه الأمتعة » . بعد ذلك يتنازل الزوج عن كل ادعاءاته و يحمى مطلقته من أى مقاضاة من جانبه أو من جانب أى وريث وذلك بدفع غرامه تقدر بخمسه كارش .[٤٢] أما فى حالة وفاة أحد الزوجين بدون أولاد ،فيصبح للذى على قيد الحياة الحق فى أن يرث ممتلكات الآخر وامتعته .[٤٣]

وفى بعض الأحيان كان الزواج يتم بين أحد أفراد الجالية اليهودية وبين إحدى الإماء المصريات .[٤٤] فقد طلب إنانيا بن ازاريا من مشولام بن زاكور يد خادمته المصرية تاموت التى كان لها طفل يدعى بالطى لقد أصبحت تاموت زوجة شرعية تتمتع بكافة حقوقها الزوجية كسائر نساء اليهود والواردة فى عقود زواجهن .[٤٥] ولكن فى هذه الحالة ، يتعهد مشولام ، صاحب الأمة ، بالا يأخذ الطفل بعيدا عن زوجها والا تعرض لدفع غرامة تقدر بخمسة كارش . أما فى حالة طرد أنانيا لزوجته فلمشولام الحق قانونا فى الاحتفاظ بالطفل[٤٦] وفى بعض الأحيان كان يدفع صداق «موهار » يقدر اسميا بشكل واحد وذلك بغرض كفالة الحماية للأمة[٤٧] . وبالرغم من زواج الامة من رجل حر ، إلا أنها تظل مرتبطة بسيدها[٤٨] . وحينما تزوجت أبنة تاموت يهو يشمامن أنانياه بن هاجاى لم يعط الصداق كما هى العادة لوالدها ولكن لأخيها زاكور بن مشولام ابن سيدها السابق مشولام بن زكور[٤٩] . ومن

الواضح أن هذا الأخير توفى ولكن يهويشما وامها تاموت لا تزالان ملزمتين من ابنه كما هو واضح من الشروط الواردة فى البردية (رقم ٥) من برديات متحف بروكلين[٥٠] .

كما كان يحدث أيضاً أن يتزوج مصرياً من أراميه . فقد تزوج اسحور بن صحو ، المصرى الأصل ، من ميبطاحيا وكان الزوج يعمل بناء للملك . وقد كان عقد الزواج يتم طبقاً للطريقة المتبعة فى الزيجات الآخرى .[٥١]

لقد وجدت وثائق تم فيها تسجيل إعطاء مصريين كعبيد لأفراد من اليهود .[٥٢] فقد كان العبيد يباعون ويشرون بل كانوا يورثون . وفى بعض الحالات كانوا يعاملون معاملة خاصة. ومن أمثلة ذلك أنه حينما ورث يدوينياه وأخيه ما حسياه عبيد والدتهم، الذين كانوا يتكونون من أم وأطفالها الثلاثة، تقرران يأخذ يدوينا طفلا وماحسياه الطفل الثانى . بينما ظلت الأم والطفل الثالث الذى كان لا يزال صغيراً ملكا شائعاًللاخوين على أن يفصل فى أمرهما فى المستقبل حينما يكبر الطفل الصغير .[٥٣] أما عن عتق العبيد فقد ورد ذكره فى البرديات الآرامية ، فتحدثت إحداها عن زاكور بن مشولام الذى اعطى أوديا بن ما حسياه عبداً ولدا يدعى يدوينياه ليتبناه . وقد تعهد أوديا ألا ينزل يدونياه إلى مرتبه العبودية مرة أخرى بل يجب أن يعامله معاملة الأبناء.[٥٤] وفى هذا اشارة إلى اعطائه حق الارث. وجاء فى بردية أخرى[٥٥] أن مشولام بن زاكور قد اعتق أمته تاموت وابنتها يهويشما بشرط ان تستمرا فى خدمة سيدها وإبنه زاكور من بعده مدى حياتهما . وإن عبارة أنهما « اعتقتا لأجل الالة » لها دلالتها الخاصة . إذ ربما تعنى أن هذا الاعتاق سيصبح له قدسية وحماية دينية بالتكريس للالة.[٥٦] ومن مظاهر الاعتقاق ألا توسما مرة ثانية بوشم العبودية والامتلاك والا تباعا لقاء مال من جانب الورثة

والا وجب على البائع أن يدفع للمعتقة غرامة قدرها خمسين كارش . أما فى حالة رفضها خدمة مشولام أو إبنه زاكور فتكونتا عرضة لدفع خمسين كارش من الفضة الخالصة ولا يحق لهما القيام بأى إجراءات قضائية .(٥٧)

لقد اتسم قانون الدين الذى كان سائداً بين أفراد الجالية اليهودية بالإجحاف والقسوة فتحدثنا إحدى البرديات أن مشولام بن زاكور قد أدان أربعة شكل ليهوحان ابنة مشولاك التى وافقت على دفع فائدة مقدارها ٢ حالور لكل شكل شهرياً أو ٦٠٪ سنوياً . وإذا لم يسدد الدين فى وقت محدد تضاف الفائدة المتجمدة إلى مبلغ الدين الأصلى ثم تدفع الفائدة للمبلغ كله بنفس النسبة المتفق عليها. وعلاوة على ذلك فقد أعطت المدينة الدائن الحق فى الحجز على ممتلكاتها فى نهاية السنه الثانية وفى حالة وفاتها يحصل الدين من أولادها .(٥٨) وفى بعض الحالات كانت الديون عينا ، فأنانى بن هاجاى استدان ٢ يراس(٥٩) و ٢ سيه حنطه من باخنوم بن بسا وقد وافق على أن يرد الدين مضاعفاً خلال عشرين يوماً ، وفى حالة عجزه عن دفعه ، تفرض عليه غرامة مقدارها كارش من الفضة الخالصة . وفى حالة وفاة أنانى يتحتم على أولاده وورثته دفع الدين أو يحصل من أملاكه . وإذا لم يدفع الدين فلبا خنوم الحق فى الإستيلاء على ما فى منزله من متاع تكون قيمته كافية لوفاء الدين . لقد أعطى لباخنوم حق التصرف فى عبيد المدين وفى أدواته النحاسية والحديدية حتى فى ملابسه وغلاله وفى كل ما يمتلكه فى الفنتين وأسوان.(٦٠) وإذا استخدم الرجل أموال زوجته يعتبر مدينا لها ولزم عليه أن يتعهد لها كتابة برد أموالها لها . وهكذا نقرأ فى إحدى البرديات أن مناهيم بن شالوم يعترف بأنه مدين لزوجته بشكلين. وان هذا المال عبارة عن « جزء من الأموال

والأمتعة التى يتضمنها عقد زواجك » ، ويعد أن يردها بعد أشهر أو أزيد قليلا[٦١] ، ولـكن يبدو بدون فائدة .

لقد كان أفرادالجالية اليهودية فىالفنتين يدينون بالديانة اليهودية القديمة التى كانت سائدة فى فلسطين قبل قانون الإصلاح الذى ورد فى سفر التثنية . لقد شيدوا معبدا لالهم فوق الجزيرة مما يدل على أن قانون الإصلاح ، الذى كان لا يعترف إلا بمعبد بيت المقدس ، لم يعرف لديهم أو لم يقبلوه .[٦٢] ومن المؤكد أن اليهود فى الفنتين كانوا يتعبدون لالهم الوطنى — يهوا — الذى كان كهنته يختارون من بينهم[٦٣] وفى بعض البرديات كان اسم يهوا يستبدل بعبارة « اله السماء »[٦٤] .

ولـكن أفراد الجالية وجدوا من الضرورة والحصافة أن يعترفوا بالالهة الأخرى التى كان يتعبدها مجتمع الجزيرة الذى كان يضم مصريين وآراميين وفينيقيين وبابليين وفرس. ومن المحتمل أن اليهود نظروا إلى هذه الآلهة على أنها من أتباع إلههم الذى توجهوا إليه وحده بالعبادة والتقديس . وليس أدل على احترامهم للالهة الأخرى أنهم كانوا دائماً يتوسلون اليها من أجل رفاهيه خلانهم خاصة فى خطاباتهم . فهذا هانانياه يكتب ليدونياه وزملائه وللحامية اليهودية قائلا « لتشاء الآلهة رفاهية اخوانى ».[٦٥] ويرى Meyen ان كلمة « آلهه » فى هذه العبارة لها نفس المعنى المفرد الذى للـكلمة العبريه « الوهيم »[٦٦] ولـكن ينفى هذا الرأى أن الفعل الملازم لهذه الـكلمة يكتب دائماً فى صيغة الجمع . كما زام وقد خصصوا جزءاً من تبرعاتهم الخاصة بالإلة يهوا لالهة أخرى مثل الاله اشمبيثل وأنا ثبيثل.[٦٧] .

لقد اعتقد يهود الفنتين ان الاله يهوا يسكن فى معبده القائم فوق الجزيرة وليس بعيداً عنهم . ويظهر أنهم لم يتأثروا بالأفـكار التى جاءت فى قانون

الإصلاح الذى ورد فى سفر التثنية والتى نادت بأن الاله مسكنه فى السماء وأن اسمة هو الذى يسكن فى المعبد . لقد ظل يهوا عندهم هو « الإله الذى يسكن فى يب القلعة »(٦٨) . بل لقد ظهر الإله يهوا فى الفنتين حاملا لقبه القديم « رب الجنود »(٦٩) ، مما يدل على الصلات القديمة بين يهود الجالية فى الفنتين وبيت المقدس ، إذ أن « يهوا رب الجنود » هو الإسم الكامل للاله كما عبد هناك(٧٠) .

ليس هناك مايدل على وجودمعابد آخرى لآلهه أجنبية فى جزيرة الفنتين إذ يحتمل أن تكون هذه الآلهه قد عبدت فى أسوان المجاوره . لقد جاء ذكر لمقصورة فى أسوان خصصت للاله « نابو » فى نقش آرامى من صقارة (٧١) ، كما ذكرت برديات هرمو بوليس آلهة آخرى عبدت فى هذا المكان مثل الاله نابو وبانيت وبيثل ومالكاتشـــامين « ملكة السماء » (٧٢) ويرى Dupont-Sommer أن يهود الفنتين عبدوا الآلهه البابلية بدليل أن أربعة منهم وهم بل ونابو وشمس ونرجال قد ذكروا فى ضراعة شخص يدعى يارحو فى احدى البرديات ، ويضيف أن هذه الآلهه قد كتبوا بهدا الترتيب فى نقش من عهد الملك سرجون (٧٣) وأن التضرع إلى أربعة آلهة بابليه لدليل كاف على وجود عبادة لهم فى هذه المنطقة كان يمارسها البابليون الذين كثر ذكرهم فى الأوراق البردية التى عثر عليها فوق الجزيرة . ولاشك أن الفرس قد ادخلوا فى خدمتهم كثيرا من البابلين الذين يحتمل أنهم أدخلوا آلهتهم البابلية معهم إلى مصر ، تماما كما فعل أندادهم الذين أقاموا فى ساماريا . (٧٤) ويجوز أن هذه البردية لم تذكر صراحة أن اليهود عبدوا هذه الآلهه باعتبار أن يارحو لم يكن بالضرورة يهوديا .

وفى بردية أخرى يتضرع فيها خادم يدعى جادول أن يبارك سيده يهوا

وخن [٧٥] . لقد اعتبر Dupont-Sommer كلمة « خن» اختصارا لاسم الاله خنوم المعبود الرئيسى فى الفنتين ويتصور أن اليهود فى الفنتين قد شاركوا المصريين فى عبادة هذا الاله . [٧٦] ولكن البعض عارض فى ذلك واعتبر إن المقصود بهذا الالهه هو الاله خان الة منطقة حران الذى اشترك اسمه فى كثير من أسماء الاشخاص من الفنتين . [٧٧] ولكن لا يمكن استبعاد الرأى الاول لما نعرفه من إحدى البرديات بأن امرأة يهودية أدت قسما باسم الالهة ساتيس ، إحدى آلهة ثالوث الشلال الأول الذى يرأسه خنوم [٧٨] .

ولقد كان لوجود جنود مرتزقة فينيقيين بين أفراد الحامية فى الفنتين أثرا فى وجود اسم الاله بيثل ـ الفينيقى الأصل ـ فى الجزيرة . [٧٩] وهناك إله آخر مرتبط بهذا الاله الاخير جاء ذكره فى إحدى البرديات وهو الاله حرمبيثل [٨٠] .

لقد كان يهود الفنتين يحتفلون بالاعياد اليهودية ومنها عيد السباث (السبت) ، ففى احد البرديات نقرأ هذه العبارة : « إنى ذاهب ولن أعود حتى عشية [السباث] » [٨١] . كما أن هناك بردية من الفنتين جاء فيها ذكر لكلمة « مارزيحا » التى تعنى « احتفال جماعى (؟) » [٨٢] ويبدو مؤكدا أن اليهود فى الفنتين احتفلوا بعيد « المازوث» أى عيد « الخبز الغير مختمر » : [٨٣] ومن الادلة على ذلك أيضا أن كلمة « بسح » التى اخذت على أنها تعنى « عيد الفصح » قد ورد ذكرها مرتين فى البرديات التى عثر عليها فوق الجزيرة والتى ترجع إلى تاريخ مبكر . [٨٤] وفى أغلب الظن كان احتفال اليهود بعيد الفصح فى الفنتين مختلفا عن أسلوب الاحتفال به ، كما ورد فى الكتب المقدسة ، حيث كانت الخراف تقدم كأضاحى . إن التضحية بالخراف فى مثل هذا الاحتفال قد يثير ثائرة المصريين الذين كانوا يعبدون الالة خنوم الة منطقة

الشلال الأول والذى كان الكبش حيوانه المقدس . علاوة على ذلك فلم يكن من السهل تربية مثل هذه الخراف فى جزيرة الفنتين أو فى أسوان المجاورة لفقرهما فى المراعى . وفى أغلب الظن أن احتفال اليهود بعيد الفصح كان احتفالا يقوم على تقديم أول قطوف الثمار قربانا وهو ما كان متبعا بين اليهود قبل قانون الاصلاح الوارد فى سفر التثنية ، رغبة منهم فى عدم أغضاب المصريين الذين كانوا يرغبون فى العيش معهم ـ وهم أقليـــة ـ فى سلام.[٨٥]

لقد شيد يهود الجالية لهم معبدا ، الأمر الذى اكدته البرديات الآرامية التى عثر عليها فوق الجزيرة والتى كشفت النقاب عن قصة هدم هذا المعبد[٨٦] ولقد أوضحت هذه البرديات أن هذا البناء كان يستخدم لتقديم الاضاحى التى كان يستلزم تقديمها وجودمذبح . ولقد وردت فى هذه البرديات أيضا عبارة « بنيت المذبح » [٨٧] وأن وجود مذبح للقرابين يدل على أن هذا البناء كان معبدا، علاوة على ذلك فقد وصف البناء على أنه « إجورا » وقد استعملت هذه الكلمة فى معرض الحديث عن المعابد المصريه . [٨٨]

ولانعرف ما إذا كانت الحكومة الفارسية قد مدت يد المساعدة لهذا المعبد كما كان الفراعنة يفعلون . لقد تحمل اعضاء الجالية عبء نفقات معبدهم خاصة فى الأيام الأخيرة لوجودها ، فاسهم الرجال وبعض النساء بمعدل شكلين من الفضه دفعها كل .[٨٩] ويبدو أن المبالغ الكبيرة التى اسهم بها لصالح المعبد كانت عبارة عن ضريبة سنوية فرضت على أعضاء الجالية . وبالاضافة إلى هذه الأموال الثابته ، كانت القرابين والاضاحى التى يقدمها الناس عن طيب خاطر احدى موارد المعبد الهامة . ولقد كانت هذه الدخول تصرف على صيانة المعبد ذاته ويدفع منها مرتبات الكهنة والموظفين .

لا نعرف على وجه اليقين كيف كان المظهر الخارجى لمعبد اليهود فى الفنتين. لقد حاول بعض الباحثين اعطاء صورة تقريبية لشكل وتصميم المعبد . فمن قائل أنه كان مشيدا فوق مرتفع من الأرض تؤدى اليه طرق صاعده(٩٠) وهناك بعض حقائق مؤكدة خاصة بالتصميم المعمارى للمعبد ورد ذكرها فى البرديات الآرمية(٩١)، ومنها نعرف أن المعبد كان يقوم على اعمده من الحجر وكان له خمس بوابات مشيده من الحجر المنحوت وسقف من خشب الأرز كما كان بداخله احواض من الذهب والفضه . وهناك احتمال كبير أن المعبد لم يكن ذا طراز مصرى الذى يتميز بالافنيه المحاطه بالجدران العالية والتى تتوسطها موائد القرابين والتى يقع فى مؤخرتها قدس الأقداس . فان مثل هذه الأبنية تحتاج إلى مساحة كبيرة ولم يكن المصريون ليسمحوا لاقلية اجنبية بتشييد معبدهم على هذا الطراز خشية استخدامه وقت الشدة ملجأ يحتمون فيه، وأغلب الظن أن طراز المعبد اليهودى كان آشوريا وأن سقفه الخشبى يوحى بأنه كان ضيقا (٩٢) . ولقد تصور Clermont-Ganneau(٩٣) أن اليهود، حينما سمح لهم بتشييد معبد خاص بهم فى الفنين، منحوا مكانا فى شمال الجزيرة ثم اخذت منازل أفراد الجالية تتكدس حول المعبد مكونة الحى الآرامى الذى أخذ ينمو شيئاً فشيئاً حتى جاور الحى المصرى الذى كان يقع فى الناحية الجنوبية من المعبد . وفى بداية الأمر كانت المنازل المصرية تقع على مسافة من المعبد ولكن بمرور الوقت اصبحت ملاصقة لجدرانه ومن الصعب الآن تحديد المكان الذى شيد عليه معبد يهوا ولكن يمكن القول بشىء من التأكيد انه كان يقع ملاصقا لمعبد خنوم أو لاحد الأحياء المصرية المجاورة له (٩٤).

لم يعش يهود الجاليه فى الفنتين فى عزلة تامة عن جيرانهم المصريين ،

بل قامت معاملات بينهم وفى بعض الأحيان تمت زيجات كان احد اطرافها مصرى والطرف الآخر يهودى . وكثيرا ما نسمع عن منازعات بين الطرفين ادت إلى الوقوف أمام القضاء للفصل فيها . فقد تحدثت احدى البرديات عن يهودى وعد مصريا يدعى باخنوم بن بسا بأن يرد له الشعير الذى قد استدانه منه حينما يتسلم جرايته من مخزن الملك[٩٥] . وفى بعض الأحيان كان الزواج يتم بين أحدافراد الجالية اليهوديه وبين احدى الاماء المصريات[٩٦] كما حدث ايضاً أن تزوج مصريا من آراميه[٩٧] . كما كان بعض المصريين يعملون كعبيد عند أفراد من اليهود[٩٨] علاوة على ذلك فقد ظهرت اسماء مصرية كشهود فى الوثائق والعقود التى كانت تبرم بين أفراد من اليهود[٩٩] . وقد ادى هذا التعامل بين الطرفين ، فى بعض الأحيان ، إلى حدوث منازعات ادت إلى أن يقفا أمام القضاء ، إذ تقص علينا احدى البرديات أن سيدة يهودية فرضت عليها المحكمة أن تقسم بأسم الألهه ساتيس فى قضية بينها وبين مصرى يدعى بيا .[١٠٠] وبجانب ذلك فقد كانت هناك عقود عمل تبرم بين طرفين احدهما مصرى والآخر يهودى مثل العقد الذى ابرم بين هوشا واحياب وبين البحار المصرى اسبمط والذى بمقتضاه تعهد اليهوديان أن يسلما البضائع التى كان يحملها لبعض فرق الحاميه ويتعهدان بدفع غرامة قدرها ثلاثين كارش إذا لم ينفذا مافى العقد وقد اعطى البحار المصرى كل الحق فى أخذ اجره ، إذا دعت الضروره ، من الحصه المقررة لهما من «منزل الملك» والحجز على ممتلكاتهما حتى يأخذ حقه كاملا[١٠١] .

لقد كان لهذا الاختلاط والتجاور بين اليهود والمصريين أثره الكبير فى أن أخذ اليهود عنهم كثيرا من الأفكار والعادات مما ظهر أثره فى حياتهم وكتاباتهم ووثائقهم . ففى أسلوب الكتابة ، يبدو أن اليهود فى الفنتين قد

استعملوا كلمة « فوق » للدلالة على « الجنوب » وكلمة « تحت » للدلالة على « الشمال »[١٠٢] . وهم فى ذلك قد تأثروا بطريقة التفكير المصرى الخاصة بتحديد الشمال والجنوب الجغرافيين . فقد استعمل المصرى القديم الفعل « خدى » الذى يعنى « الإبحار فى اتجاه مصب النهر » للدلالة على جهة الشمال والفعل « خنتى » الذى يعنى « الإبحـــار نحو منبع النهر » للدلالة على جهة الجنوب وذلك باعتبار أن النيل يجرى من الجنوب إلى الشمال[١٠٣]. ونظرا لأن العناصر المصرية كانت أطراف فى الوثائق القانونية الآرامية ، فقد كان التقويم المصرى يستعمل بجوار التقويم البابلى ، الذى كان يستعمل بصفة رسمية فى الجزء الغربى من الإمبراطورية الفارسية ، فى مثل هذه الوثائق[١٠٤] وعادة ما كان يتقدم التقويم البابلى على التقويم المصرى ، والعكس كان يحدث أحيانا[١٠٥] . وبالرغم من وجود هـــذا التقويم المزدوج فى بعض الوثائق الآرامية ، فهناك وثائق أخرى تحمل التقويم المصرى فقط[١٠٦] .

لقد اختصت الوثائق الآرامية فى الفنتين ببيع وشراء عقارات وعمليات نقل الملكية سواء بالبيع أو بالتنازل . وقد حذت هذة الوثائق حذو الوثائق المصرية المكتوبه بالخط الديموطيقى نمطا وأسلوبا . ففى نهاية عقودالبيع بعدان يقرر البائع أنه باع شيئا معينا وأنه تسلم ثمنه يعترف بأن «قلبه راض ». [١٠٧] وهى عبارة مصرية تذكر دائما فى العقود الديموطيقية . وبعدان يؤكد البائع أنه باع شيئا مملوكا له وسلمه لمشتريه يقرر أنه بذلك قد « رفع يده » [١٠٨] عنه إلى الابد . وهذا اصطلاح مصرى صميم ، إذ أن المصريين اعتبروا أن « رفع يد » المالك السابق عن املاكه الإجراء الأخير فى نقل الملكية المشتراه والمدفوع ثمنها . فالتأكيد فى عقود البيع المصرية ليس على اخذ الحيازة بل على وضع اليد . لقد كتب عند تظهير بعض البرديات الآرامية وبعد وضع الاختام

عليها عبارة « وثيقة رفع اليد »[١٠٩] وهو اصطلاح قانونى يقابل الاصطلاح المصرى و Sh3nwi الذى يحمل نفس المعنى[١١٠] . كما تكلمت البرديات أيضاً على الهبات بصفة عامة وعلى هبات المنازل بصفة خاصة ، فقد يهب الرجل جزءا من منزله لزوجته وفى بعض الحالات يشترط الواهب أن يرث أولادة هذا الجزء منها مثلما يرثواهم نصيبه[١١١] وهذا الموقف له أمثاله فى البرديات الديموطيقة[١١٢]

وهناك ايضا كثير من الالفاظ والعبارات التى اقتبست من اللغه المصريه القديمه ودخلت فى الوثائق الآراميه ، ففى إحدى البرديات يعترف شخص أنه دفع خمس شكل ثمنا « لهيرا »[١١٣] . لقد شبه Erichsen هذه الكلمه بالكلمه الديموطيقيه « خير » التى تعنى « شارع » كما تظهر أيضا فى البرديات الديموطيقية من الفنتين بمعنى « منزل »[١١٤] . وقد تحدثت إحدى البرديات على أنه فى حالة وفاة انانيا ، يصبح لتاموت « شليطاه » أى « الحق » فى كل ممتلكاته .[١١٥] لقد اعتبر البعض أن هذه الكلمه تحمل معنى مصريا خالصا .[١١٦] وأن كلمة « تمى » التى ذكرت حين تعيين حدود أحد المنازل[١١٧] كلمة مصريه وردت فى النصوص الديموطيقية بمعنى « مدينة »[١١٨] . وأن العبارة التى وصف بها الإله يهوا فى البرديات الارامية بانه « شكن يب »[١١٩] أى « الذى يسكن فى الفنتين » لهى ترجمة آرامية للعباره المصرية « حرى - يب أبو » التى كان يوصف بها الاله خنوم .[١٢٠] وهناك كلمة وردت فى نفس البردية تصف الامة تميت بانها « پر (د ؟) بيت » ، وقد اقترح Erichsen بان هناك صلة بين هذه الكامة والكلمة الديموطيقية « پر - بيت » أى « المصنع » ويعتقد انها تشير إلى الأمة باعتبارها أحد افراده[١٢١]

الفصل الثالث

المعبد اليهودى

هدمه وإعادة بنائه

يعزى Clermont-Ganneau هدم المصريين للمعبد اليهودى إلى إثارة اليهود غضب المصريين وذلك بتقديمهم الكبش قربانا فى عيد الفصح . إذ أن هذا العمل اعتبر خطيئة دينية كبيرة موجهة إلى كهنة الإله خنوم الذين كانوا يعتبرون الكبش حيوانا مقدساً لهذا الإله [1] ولكن لماذا لم يظهر هذا النزاع منذ البداية ؟ ألم يدرك فرعون مصر ، الذى سمح لليهود بعبادة إلههم وبإقامة معبد له بجوار معبد الإله أخنوم ، أن هذا الذى سيفعله اليهود سيسىء إلى شعور المصريين ؟ يجيب Clermont-Ganneau على هذه الأسئلة بقوله أن اليهود ، قبل هذا العهد بوقت قصير ، كانت لهم الحرية فى تقديم جدى قربانا بدلا من كبش . ولكن جاء وقت بدأوا يضحون فيه بكبش مما أثار غضب المصريين . وقد افترض أن الوقت الذى بدأت فيه ممارسة هذه التضحية هو الوقت الذى كتبت فيه البردية التى ذكر فيها الاحتفال بعيد الفصح[2] . وقد اعترض Kraeling على هذه الافتراضات مقترحاً أنه لو فرض أن اليهود كانوا يحتفلون بهذا العيد فى الفنتين ، فإن أسلوب احتفالهم به كان لابد أن يكون مخالفا للاسلوب الوارد فى الكتب المقدسة ويؤكد أنه من البديهى ألا يمارس اليهود أى شعائر دينية قد تسىء إلى شعور المصريين .[3] والحق يقال، ان هذا التعايش السلمى الطويل الذى أظل حياة المصريين واليهود فوق الجزيرة منذ تشيد معبدهم قبل قدوم الفرس ، لدليل

قاطع على إستقرار أنماط السلوك الدينى بين الطرفين بحيث لا يسىء نمط فريق شعور الفريق الآخر . لذلك يجب علينا أن نبحث عن سبب آخر للشعور العدائى الذى أبداه المصريون تجاه اليهود إبان الحكم الفارسى .

تذكر لنا بردية Strassburg [٤] أن ثورة قام بها المصريون ضد الحكم الفارسى وتشير إلى أن اليهود فى ذلك الوقت لم يتركوا مراكزهم ولم توجه إليهم تهمة الخيانة . وفى هذا دليل على أنهم عاونوا على إخماد الثورة مما أحقد عليهم قلوب المصريين. ثم تمضى البردية فتذكر لنا أنه فى العام الرابع عشر من حكم دارا (المقصود دارا الثانى) قام كهنة خنوم بهذا العمل البغيض فى الفنتين القلعة وذلك حينما ذهب ارشام (ساترب مصر) إلى الملك (ى فارس) . تآمروا مع ودرانج البرترك وبعد ان أعطوه نقوداً وأشياء ثمينة هدموا جزءاً من مبنى الملك وشيدوا حائطاً (فاصلا ؟) فى وسط (؟) القلعة وردموا بئراً كان يمد الحامية اليهودية بالماء .

وعلى ظهر البردية يوجد إشارة إلى أن اليهود قد منعوا من ممارسة شعائرهم الدينية تجاه الإله يهوا وإلى أن أعداءهم استولوا على « خشب ، (؟) » المعبد .

من هذه الوثيقة يمكن تلمس الدوافع السياسية التى أدت إلى تغير شعور المصريين تجاه اليهود . ففى البداية ،حينما أتى اليهود إلى الفنتين دخلوا فى خدمة الحكام الوطنيين وساعدوهم فى حماية حدود مصر الجنوبية من خطر النوبيين ومكافأة لهم على خدماتهم ، لم يمانع فرعون مصر من منحهم حرية العقيدة كما منحوها للاراميين والفينيقيين وغيرهم . ولعل الذى حدا بالمصريين إلى ذلك هو اعتبارهم أن إقامة هؤلاء الاجانب وآلهتهم إقامه مؤقته وليست دائمه . ولكن بغزو الفرس لمصر تغير الموقف . فقد دخل الجنود الاجانب ومنهم اليهود فى خدمة المستعمر الفارسى وساعدوه ضد المصريين . لقد قامت ثورات عدة ضد الحكم الفارسى ، وقد تكون الثورة التى أشارت إليها بردية

Strassburg قدقامت عند تولى دارا الثانى العرش (٤٢٤ ق . م) . وإذا صدق اليهود بأنهم ظلوا على ولائهم فيعنى هذا أنهم ساعدوا على إخماد الثورة فى منطقتهم . وبهذا جلبوا على أنفسهم سخط المصريين الذين أخذوا يتحينون الفرصة للانتقام . وأن تآمر ودرانج — الحاكم الفارسى — مع المصريين ضد اليهود كما هو واضح من هذه البردية ومن بردية أخرى معاصرة[٥] لايمكن تفسيره إلا فى ضوء الطموح الشخصى والطمع فى الكسب أو خوفا من بطش المصريين .

وهناك لمحات من احداث خطيرة ساعدت على ازدياد الكراهية بين المصريين واليهود فى أسوان ، وربما وقعت هذه الأحداث عام ٤١٠ ق . م عندمالحق بالمعبد اليهودى التدمير . فهناك جزء من خطاب[٦] ،يبدوأنه كتب بيد مصرية ، يتحدث عن تقرير خاص بأحداث معينة ومرسل إلى شخصية فى الفنتين . ويذكر لنا هذا الخطاب أسماء ست نساء وخمسة رجال وجدوا عند البوابة فى طيبة ثم قبض عليهم وسجنوا وكلهم من اليهود . كما يشير الخطاب إلى حادثة دخولهم بعض المنازل فى الفنتين واستيلائهم على بعض البضائع التى أعادوها إلى أصحابها ، واخيرا يعبر كاتب الخطاب عن رغبته فى أن يحل السلام بمن يخاطبه وبعائلته « حتى تحقق لنا الآلهة ما نريده » وقد تتضمن هذه العبارة الاخيرة شعورا عدائيا تجاه اليهود . وهناك احتمال كبير فى أن وجود الرجال والنساء اليهود فى طيبة كان للوقوف أمام محكمة عليا . ويبدو أن هذه الحادثة وقعت قبل هدم المعبد اليهودى وليس بعده . على أى حال فمن الواضح أن تغير الشعور المصرى العام تجاه اليهود كان نتيجة عوامل سياسية وليست عوامل دينية .

وأن قصة هدم المعبد اليهودى قد ذكرت صراحة فى خطاب باجواس[٧] الذى كتب فى السنة السابعة عشرة من حكم دارا الثانى أى فى عام ٤٠٧ ق . م

والخطاب موجه من يدونيا ـ رئيس الجالية اليهودية فى الفنتين ـ وزملائه الكهنة إلى باجواس حاكم يهوذا الفارسى . ولم يكن هذا أول خطاب يوجه إلى المسئولين فى فلسطين بخصوص الموضوع الذى يتحدث عنه ، إذ يشير يدونيا وزملائه بأنهم كتبوا من قبل إلى باجواس وإلى الكاهن الأكبر يوهانان وزملائه وإلى الكهنة فى بيت المقدس وإلى أوستان شقيق أنانى وإلى نبلاء اليهود ولكن احدا لم يجيب خطاباتهم [٨] وفى هذا الخطاب المؤرخ فى عام ٤٠٧ ق.م عرض الأمر مرة ثانية على باجواس حيث ذكر فيه أنه فى العام الرابع عشر من حكم دارا (٤١٠ ق . م) حينما ذاهب أرشام إلى الملك ، تآمر كهنة الإله خنوم مع ويدرانج البرترك على هدم معبد الإله يهوا فى الفنتين وقد أرسل ويدرانج الآثم خطابا إلى ابنه نفايان ـ االقائد فى أسوان ـ يأمره بتنفيذ عملية الهدم . وقاد نفايان المصريين معقوات أخرى واتوا إلى الفنتين بمعاولهم وهدموا المعبد واستولوا على كل محتوياته . وقد لفت الشاكون اليهود نظر باجواس إلى أن معبدهم كان قائماً أيام الحكام المصريين الوطنيين . وأنه حينما غزا قمبيز مصر هدم كل المعابد المصرية ماعدا معبد الإله يهوا . ثم يذكرون كيف أن إله السماء أنبأهم بأخبار ويدرانج الذى أخذت منه الثروة التى كان قد حصل عليها بينما قتل جميع من تآمر لهدم المعبد . وأخيرا يطلب يدوينا وزملاؤه اليهود الآخرون من باجواس أن يسمح لهم بإعادة بناء المعبد « حيث أنهم (أى المصريين) لم يسمحوا لنا ببنائه . » ثم يطالبون بإرسال خطاب متضمنا الإذن ببناء معبدهم . وفى النهاية يعدون بأن يقدموا قربانا من أطعمة وبخور واضحية للاله يهوا وأن يصلوا من أجل باجواس . وهناك إشارات إلى أنهم كتبوا إلى دلاياه وشليمياه أبناء سانبلات حاكم ساماريا ويؤكدون أن أرشام لم يعلم بما حدث .

من هذا الخطاب نعرف أن يهود الفنتين حاولوا كسب تأييد السلطات الفلسطينية لإعادة بناء معبدهم . ولكن الكاهن الأكبر أهمل نداءهم كما أهمله أيضا أوستان شقيق أنانى . ويبدو أنه حينما يئس ممثلو الجالية اليهودية فى الفنتين من الاستعانة باخوانهم فى الدين فى الوطن الاصلى ، ولم يترددوا فى الالتجاء إلى الحكام الفرس باجواس وسانبالات . وقد أشارت الرسالة التى أحضرها الرسول اليهودى بعد مقابلته باجواس ودلايار احد أبناء سانبلات إلى الموافقة على إعادة بناء معبد الالة فى مكانه كما كان قبلا وإن تقدم القرابين والبخور فيه [٩]. والشىء المثير للاهتمام فى هذا الخطاب أن يدونيا وزملائه قد طالبوا أن يرسل خطاب خاص بإعادة تشييد معبديهوا وتقديم ثلاثة أنواع من القرابين باسمه — أى حاكم يهوذا . وهذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن الجالية اليهودية ومعبدها كانا ـ بطريقة ما ـ تحت حمـــاية حاكم يهوذا الفارسى وأن المعبد لا يمكن إعادة تشييده ما لم يصدر أمر بذلك من باجواس ، إذ ليس هناك أى ذكر لخطابات وجهت إلى ارشام (الوالى الفارسى على مصر) أو إلى أى موظف مصرى [١٠] . ولقد التجأت الجالية فى الفنتين إلى فلسطين طلباً للمساعدة منذ البداية لأنها وجدت من الضرورى أخذ التصريح من هناك قبل البدء فى البناء . وبدلا من أن يرسل لهم الخطاب المطلوب ، فقد وجد باجواس أنه من الأفضل أن يبلغ اليهود توصياته إلى إرشام شفوياً . لقد حمل الرسول اليهودى هذه التوصيات إلى أرشام والتى جاء فيها :

١ — أن هذا المعبد الخاص « بإله السماء » (لقد أغفل اسم يهوا) كان موجوداً قبل حكم قمبيز ، وفى هذا إشارة إلى أنه ليس من حق المصريين الإدعاء بأن وجوده كان مرتبطا بمجىء الفرس .

٢ — أنه فى عام ٤١٠ ق.م هدمه ويدرانج ، وبهذا فقد وضعوا مسئولية هدمه على عاتق موظف فارسى وليس على عاتق المصريين .

٣ — أنه يجب أن يعاد تشييده فى مكانه ، والقصد من هذه العبارة إبطال أى محاولة من جانب المصريين ـ فى حالة إذا ما أعيد تشييد المعبد ـ لإقصائه عن معبد الإله خنوم أو حتى عن الجزيرة كلية .

٤ — أن يكون البناء مثل سابقه تماماً ، ويبدو أن فى هذا إشارة إلى أن إعادة بناء المعبد ستتكفل بها الحكومة .

٥ — أن تقدم القرابين على المذبح كما كان الحال سابقا ، وفى هذا تلميح إلى إعانة الحكومة . كما نلاحظ أيضاً أن نوعين من القرابين قد ذكرا فقط هما الأطعمة والبخور بينما أغفلت الأضاحى التى ورد ذكرها فى الطلب المقدم من اليهود لباجواس .

ومن الواضح أن باجوس ودلايا قد تشاورا مع كاهن اليهود الأكبر وأصحابه ومع أوستان شقيق أنانى ومع النبلاء اليهود قبل إصدار توصياتهم . وقد تكون التوصية بعدم السماح بتقديم أضاحى فى معبد الفنتين بناء على رغبة الكاهن الأكبر وأصحابه فى قصر مثل هذه الأضاحى على معبد بيت المقدس ، كما تعكس نوعا من الولاء لمبادىء قانون الإصلاح الوارد فى سفر التثنية. ومن الصعب القول بأن هذه التوصية كانت بناء على موانع مرتبطة بعقيدة باجواس الفارسية التى كانت تحرم تنجيس النار إذا وضعت فيها أو لامستها جثث حيوانات ميتة[1] ، أو رغبة فى عدم الإساءة لشعور المصريين ، لأنه كانت توجد فى الفنتين عبادات شتى كان تقديم الأضاحى فى طقوسها أمراً شائعاً . فالقرار إذن كان يعكس سياسة تنبىء على التقليل من شأن المعابد اليهودية المقامة خارج فلسطين .

ولكن هل حققت رسالة باجواس ودلاياه لأرشام الغرض المطلوب منها ؟ وهل أعيد بناء المعبد اليهودى فى الفنتين ؟ نقرأ فى أحد الخطابات أن خمسة أفراد من أسوان وذوى أملاك فى الفنتين قد عرضوا على أن يدفعوا لمنزل موظف كبير[١٢] ـ لم يذكر اسمه ـ مبلغاً من المال وألف أردب من الشعير على شريطة أن يصدر الإذن بإعادة بناء المعبد فى أقرب وقت ، وقد تعهدوا بألا تقدم خراف أو ثيران أو ماعز كأضاحى وتقدم فقط الأطعمة والبخور . ومن الطريف أن اسم الشخص الذى ستقدم إليه هذه الرسالة لم يذكر ، إذ من الواضح أنها سلمت إليه شخصياً . ويبدو مؤكدا أن المعبد اليهودى قد أعيد تشييده بحجمه السابق أو على الأقل على مساحة تكفى لتحقيق أغراضه الدينية ولكن Meyer يعتقد أن المعبد لم يعاد تشييده بسبب الثـــورة التى قام بها المصريون بعد ذلك بقليل والتى أدت إلى استقلال مؤقت[١٣] ولكن هذا الرأى لا يستقيم مع ما جاء فى البردية رقم ١٢ من برديات متحف بروكلين ، والتى كتبت بعد ذلك بسنوات ، من الإشارة بوضوح بأن الإله يهوا مازال هو الإله الذى يسكن فى الفنتين القلعة[١٤] وفى هذا دليل واضح على أن عبادته كانت قائمة . وهكذا نرى أن الجالية اليهودية قد خرجت من الأزمة التى واجهتها وقد تحقق غرضها .

الفصل الرابع

زوال السيطرة الفارسية ونهاية الجالية اليهودية[1]

لقد بدأت السيطرة الفارسية على مصر فى الانحسار منذ السنوات الأولى من حكم ارتاكسركسيس الثانى (٤٠٤ — ٣٥٨ ق. م) وفى ذلك يصرح Meyer بقوله « نعرف أن مصر حررت نفسها من الحكم الفارسى فى عام ٤٠٤ قم . وطبقا لرواية مانيتون فقد كان اميرتايوس أول حاكم وطنى من سايس هو الذى أسس الأسرة الثامنة والعشرين وقد حكم ست سنوات (٤٠٤ — ٣٩٩ ق . م) ولقد أمدتنا البرديات التى عثر عليها فى الفنتين لأول مرة بوثيقة من السنة الخامسة من حكمه . »[1] ولكن هذا الرأى قد تغير الآن فى ضوء البرديات الآرامية التى تكون مجموعة متحف بروكلين والتى نشرها Kraeling . لقد وجد Kraeling من بين هذه البرديات مايمكن أن يؤرخ بعهد الملك ارتاكسركسيس الثانى الذى خلف دارا الثانى فى ربيع عام ٤٠٤ ق. م[2] علاوة على ذلك فقد أكدت هذه البرديات ان الحكم الفارسى كان لايزال معترفا به فى الفنتين فى ١٢ ديسمبر من عام ٤٠٢ ق ، م ، ومن ثم يمكن أن نستنتج أن حكم اميرتايوس ، الذى بدأ فى ديسمبر عام ٤٠٥ ق.م ، لم يشمل مصر كلها خلال السنوات الأولى من حكمه التى كانت بالتأكيد معاصرة للسنوات الأولى من حكم أرتاكسركسيس الثانى [3]

لقد شهد عام ٤٠١ ق. م المؤامرة التى دبرها كيروس — شقيق أرتاكسركسيس الأصغر — للتخلص منه والتى خلدها اكسنوفون [4]. لقد أشار المؤرخ الاغريقى إلى الموقف فى مصر فى موضعين . فبعد موت كيروس ،

رغب بعض القواد الاغريق فى التحالف مع ارتا كسركسيس واقترحوا عليه أن يرسلهم فى حملة لإخضاع مصر . ثم يشير Clearchus[1] ، فى معرض حديثه للقائد الفارسى Tissaphernes ، إلى المتاعب التى لاقاها هذا الأخير من جانب الـMysians و Pisidians ويبدى استعداده للتوجه ضدهم ثم يضيف قائلا : « أما بالنسبة للمصريين الذين أشعر أنك غاضب عهم ، فليس هناك قوة ترسل لإنزال العقاب بهم أفضل من القوة التى معى الآن » .

من هذا نرى أن الدليل واضح على أن مصر فى هذا الوقت كانت قد أزاحت عن كاهلها عبء السيطرة الفارسية . لقد كان فى الإمكان إبقاء مصر فى حوذة الفرس وبالتالى منح حياة أطول للجالية اليهودية فى الفنتين ، لو أن Tissaphernes قبل مساعدة Clearchus التى قد يكون فيها القضاء على اميرتايوس . على أى حال فإن فى رواية كسنوفون مايشير إلى أن اميرتايوس كان مسيطراً على البلاد فى ربيع عام ٤٠١ ق . م ، بالرغم من إحتمال وجود قوات فارسية فى أقصى الشمال . لقـــد كان من العوامل التى يسرت على اميرتايوس الانتصار على الفرس ، حصوله على المال والسفن اللازمين لبناء قوته بعد إلتجاء تاموس حاكم قيليقيا أثناء حكم كيروس إليه ومعه أسطوله وذخائر ولايته . [٥] وحينما أصبح اميرتايوس فرعونا معترفا به فى الفنتين ، بدأت الوثائق تؤرخ بسنوات حكمه فيها . فهناك بردية يرجع تاريخها إلى اليوم الواحد والعشرين من شهر برمهات من السنة الخامسة من حكمه [٦] . وحيث أن حكمه أمتد من ٢ ديسمبر عام ٤٠٥ ق . م . إلى ١١ نوفمبر عام ٣٩٩ ق . م [٧] ، فإن البردية التى كتبت فى عهده يوافق تاريخها يوم ١٩ يونيو من عام ٤٠٠ ق . م وهكذا يمكن القول بشكل تأكيد أن اميرتايوس أصبح فرعونا على كل البلاد بعد يوم ١٢ ديسمبر عام ٤٠٢ ق . م بفترة قصيرة

أى فى ربيع عام ٤٠١ ق.م وهو الوقت الذى شهد مؤامرة كيروس . وهناك احتمال فى أن الجالية اليهودية فى الفنتين قد طالبت الملك الوطنى الجديد باستمرار الامتيازات التى حصلت عليها فى الماضى باعتباره من أحفاد فراعنة سايس الذين سمحوا لليهود بالإقامة فى الجزيرة وتشييد معبد لهم فيها .

لقد كان حكم اميرتايوس لمصر قصير وسرعان ماجاء بعدة نفريتس الأول (٣٩٩ — ٣٩٣ ق . م) الذى أسس الأسرة التاسعة والعشرين . ولقد جاء ذكر هذا التغيير فى البردية رقم ١٣ من مجموعة بروكلين حيث ورد ذكر الملك اميرتايوس وتولى نفريتس العرش [٨] . ولسوء الحظ لم تحفظ السنة التى كتبت فيها هذه البردية إنما حفظ فقط اليوم الخامس من شهر أبيب الذى يوافق اول اكتوبر فى السنوات ٤٠١ — ٣٩٨ ق . م . فهذه البردية كتبت بالتأكيد فى أول اكتوبر عام ٣٩٩ق. م لأن السنة الأولى من حكم نفريتس بدأت فى أول ديسمبر عام ٣٩٩ ق . م . [٩] وبدون شك فإن قصة هروب اميرتايوس أو مصرعه قد وردت فى هذه البردية ، وقد تكون حامية الفنتين قد ظلت تحت إمرته لمدة عامين . وأن ذكر ويدرانج الحاكم الفارسى الذى سبقت الإشارة إليه فى هذه البرديات لأمر يثير الاهتمام ، إذا يحتمل أنه كان فى خدمة اميرتايوس أو كان من ضمن الأسرى الذين وقعوا فى يده .

لقد جاءت الأسرة الجديدة من منديس فى الدلتا حيث كان يقدس الكبش . ولاشك أن كهنة الآله خنوم فى الفنتين — والذين كان الكبش حيوانا لإلههم — قد شعروا بقوة ونفوذ جديدين فى ظل هذه الأسرة الجديدة ، فى الوقت الذى بدأ فيه اليهود أتباع الآله يهوا يوجسون خيفة منهم . ولانملك الدليل الصريح على أن التعهدات التى قطعها حكام سايس السابقين على أنفسهم تجاه اليهود فى الفنتين قد أهملت فى عهد الأسرة الجديدة ، ولكن انقطاع

كتابة البرديات الخاصة بالجالية اليهودية فى الجزيرة[١٠] فى هذا الوقت بالذات ، يؤكد أن نهاية الجالية اليهودية حدثت فى عهد نفريتس الأول .

وهناك خطابين كتبا حوالى نهاية الحكم الفارسى لمصر . أولهما كتبه ماوزياه بن ناثان مخاطبا يدونياه واورياه وكهنة الالهةيهوا ويهود الحامية[١١]. ويشير الخطاب إلى أنه حينما أتى ويدرانج القائد إلى ابيدوس قام بايداع كاتب الخطاب فى السجن بسبب سرقة حجر كريم عثر عليه فى يد التجار (الذين يحتمل أنهم ادعوا الحصول عليه من ماوزياه) . ثم استخدم مهوو حور-خادمى انانى — نفوذهما مع ويدرانج وحور نوفى حتى انقذا ماوزياه من سجنه . وقد ذكر هذا الأخير أن مهو وحورسيحضران إلى الفنتين ويطلب أن ينالا العناية الكافية . وفى السطر السابع من هذا الخطاب توجد عبارة على جانب من الأهمية : « لقد اصبح خنوم ضدنا منذ وصل هاانانياه مصر حتى الآن . »ومن هذا يتضح ان كهنةخنوم أصبح شعورهم عدائيا بعدوصول هاانانياهمن فلسطين أو بابل . ويبدو أن الحاجة إلى المال كانت ملحة مما اضطر الذين وجه إليهم الخطاب « بيع الأمتعة من منازلنا » . وقد يكون وجود ويدرانج فى أبيدوس لتسلم منصب جديد فيها بعد عقابه [١٢] وقد يكون فى قبضه على ماوزياه نوع من الانتقام ردا على العقاب الذى وقع عليه من جانب اليهود .

وفى الخطاب الآخر[١٣] الذى يؤرخ بالفترة التى سبقت استيلاء أميرتايوس على السلطة مباشرة أى صيف ٤٠١ ق . م [١٤] نجد اشارات إلى جرايات ورشاوى يبدو أن المصريين استخدموها للعمل ضد اليهود ، كما توجد تلميحات الى أن للمصريين يقومون بعمل أشياء « خلسة » أمام ارشام . فالخطاب هنا يعكس فترة مليئة بالقلاقل والاضطرابات . وايذاء هذه الاضطرابات يحتمل أن اليهود فى الفنتين إضطروا الى النزوح منها والعيش مع اخوانهم فى بقعة

أخرى من مصر . وقد يكون ماجاء فى إحدى برديات تلك الفترة [١٥] من ذكر لعمليات قتل وقبض على رجال ونساء من اليهود آخر فصل من فصول الهجرة اليهودية من جزيرة الفنتين [١٦] .

ويكاد يكون فى حكم اليقين أنه لم يعدهناك يهودى واحد فى الفنتين أيام الأسرة الثلاثين السمنودية خاصة فى الوقت الذى أعاد فيـــه آخر فراعنتها نكتانبو الثانى (٣٥٩ — ٣٤١ ق . م) بناء معبد خنوم فوق الجزيرة . ومما يؤيد ذلك أن الشارع الذى يحيط بجدار معبد خنوم قـد تجاوز منازل الحى اليهودى بطريقة توحى بأنها لم تـكن عامرة فى وقت انشائه : [١٧] ولـكن هذه الأعمال الانشائية قد توقفت بدون شك بغزوة ارتاكسركسيس الثالث (أوخوس) لمصر عام ٣٤٢ ق.م .

لقد رأى بعض الباحثين فى نبوءة اشعيا [١٨] ، التى تنبأت بالاضطرابات والحروب الأهلية التى ستحل بمصر ، رأوا فيها صدى للغضب الذى ملأ قلب صاحبها إزاء ما اقترفه المصريون ضد اليهود فى الفنتين . ولـكن إذا كان تاريخ النبوءة يرجع إلى وقت متأخر عن الأسرة التاسعة والعشرين ، فإن الأحداث التى كانت السبب فى خروجها لابد وأنها تضرب فى أعماق الماضى، ولابد أن صاحب هذه النبوءة كان يحمل فى مخيلته صورة حاكم أجنبى معاصر حينما تحدث عن « المولى القاسى والملك العزيز » الذى سيسيطر على المصريين . وعلى الأرجح أنه كان يفـكر فى ملك الفرس ارتاكسركسيس الثالث(٣٨٥— ٣٣٨ق . م) الذى اشتهر فى التاريخ بقسوته وعنفه [١٩] . ومن المحتمل أنه كان يوجد فى ذلك الوقت من اليهود من قلد الأنبياء القدامى فى الحديث بالسوء عن مصر خاصة بعد أن حاول تاخوس — أحد ملوك الأسرة الثلاثين — إعادة السيطرة المصرية على سوريا عام ٣٦٠ ق.م . وفى ذلك الوقت قد تكون

فلسطين قاست من عسف المصريين بينما كان ظاهرا أمام أعين المراقبين اليهود الاستعدادات التى يقوم بها ارتا كسركسيس الثالث لإخضاع مصر بعد محاولة فاشلة قام بها عام ٣٥٠ ق . م . وفى عام ٣٤٣ ق . م . هزم نكتانبو الثانى وتقهقر إلى منف حينما خذله الجنود المرتزقة الأغريق وانضموا إلى الملك الفارسى. فقد تكون احدى حملتى ارتا كسركسيس الثالث على مصر قد سببت فى ظهور النبوءة . ويعتقد Kraeling أن الحملة المصرية ضد فلسطين وليس الاضطهاد الذى لاقاه اليهود فى مصر كانت سببا فى تحريك شعور النبى اليهودى ضد مصر [٢٠] .

لقد ذكر لنا أشعيا أن « لغة كنعان » كان يتحدث بها فى خمس مدن فى مصر [٢١] ، مما يحمل على الظن أن موجة جديدة من اليهود الذين يتكلمون العبرية قد وفدت على مصر . وهناك احتمال كبير أن تكون هذه الموجة قد جاءت فى عهد بطليموس الأول أو الثانى اللذين احضرا اعدادا كبيرة من اليهود إلى مصر [٢٢] . وفى الأزمنة المتأخرة عاد اليهود وسكنوا بالقرب من الفنتين ، الأمر الذى يمكن استنتاجه من تصريح Philo Judaeus الذى يتحدث فية عن شعبه الذى انتشر فى مصر من الحدود الليبية حتى حدود أثيوبيا [٢٣] . ولا ندرى إذا كان اليهود الذين عاشوا فى الفنتين فى القرن الأول قد عرفوا أن اخوانا لهم قد عاشوا فوق الجزيرة وكان لهم معبدهم هناك فى القرن الأول قبل الميلاد .

الاختصارات

A H R — American Historical Review.

A N E T — Pritchard, J.B. (ed.). Ancient Near Eastern Texts Relating to tne Old Testament, 2d ed. revised. New Jersey 1955.

B A R — Breasted, J. H. Ancient Records of Egypt. 5 vols. Chicago, 1906-1907.

B I E — Bulletin d' l'Institute d'Egypte.

C.A.P. — Cowley, A.E. Aramaic [Papyri of the Fifth Century B.C. Oxford, 1923.

C R A I — Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres.

I F A O — Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire.

J N E S — Journal of Near Eastern Studies.

K.B.M. — Kraeling, E.g. (ed.). The Brooklyn Museum Aramaic Papyri. New Haven, 1953.

M A I — Mémoires Présentées par Divers Savants à l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres.

P S B A — Proceedings of the Society of Biblical Archaeology.

R H R — Revue d'Histoire des Religions.

SPAW]— Sitzungsberichte der Königlich Preussischen Akademie der Wissenschaften zu Berlin.

U rk. VII — Sethe, K. Urkunden des Mitteleren Reiches, historisch - biographische Urkunden. ("Urkunden des ägyptischen Altertums," vol. VII,I.) Leipzig, 1935.

W b. — Erman, A. and Grapow, H. Wörterbuch der ägyptischen Sprache. 7 vols.

Z Ä S — Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde.

Z A W — Zeitschrift für die Alttestamentliche Wissenschaft.

هوامش الفصل الأول

(١) تسمى الآن جزيرة اسوان وقديما اطلق عليها المصريون اسم « 3bw » والذى يعنى فى اللغة المصرية االقديمة « فيل » والذى انتقل إلى اليونانية تحت أسم « الفنتين » . ومن المحتمل أن الجزيرة سميت بهذا الأسم قديما الآن الافيال وجدت فى هذا المكان مرتعا خصبا لها ومكانا ملائما لاستقرارها قبل هجرتها النهائية صوب الجنوب . عن أصل الأسم وكتابته ، أنظر :

K. T. El – Dissouky, Elephantine in the Old Kingdom (unpublished Ph. D. dissertation, University of Chicago, 1969), pp. 1—21.

(٢) لقد عثرت بعثات أوربية مختلفه على هذه البرديات ما بين عامى ١٨٩٣ و١٩٠٨ ومعظمها يحمل تاريخا ، وقد أمكن تأريخها مابين عامى ٤٩٨ و ٤٠٠ ق . م أى خلال الحكم الفارسى لمصر .

(٣) لقد دأب المصريون القدماء على وضع حاميات فى ما يمكن تسمية بمناطق « الثغور » التى كانت عرضة دائما لهجوم البدو والقبائل القاطنة على الحدود سواء فى الشمال الشرقى أو فى الشمال الغربى أو فى الجنوب حيث الحدود بين مصر والنوبة كانت عرضة لغارات النوبيين . (أنظر : هيرودوت يتحدث عن مصر - تعريب محمد صقر خفاجه - ٣٠) .

(٤) C.A.P. 37:1; 21:1; 22:1.

(٥) Ibid., 24:33.

(٦) لقد اشتهرت كل من اسوان والفنتين بقلعيتهما فى هذا العصر ، إذ كثيرا ما نقرأ عبارتى « يب القلعة » و « سونو القلعه » . لقد اشتهرت الفنتين بقلعتها منذ الدولة القديمة (أنظر : H. Goedicke, "The pharaoh Ny-swth," ZÄS, 81 (1956), pp. 81—24).

اما عن قلعة اسوان فلا يعرف على وجه اليقين تاريخ تشييدها قبل العصر

الفارسي ، و تعني كلمة « سونو » في اللغة المصرية القديمة « قلعة » ومنها اشتقت كلمة اسوان .

(٧) K.B.M. 8:2; C.A.P. 27:4; 30:5.

(٨) K.B.M, p. 41 ، لم يرد بين الرجال الذين ينتمون إلى « دجل » من كان مصريا مما يدل على أن المصريين لم يعملوا في الحامية .

(٩) C.A.P. 5:9, 13:10, 46 6; cf. 20:11.

(١٠) Ibid, 30:22 ، وفي بعض الاحيان كان يطلق عليهم «اسوانيون ذوى املاك في الفنتين (Ibid, 33:6) .

(١١) A.T. Olmstead, History of the Persian Empire (Chicago, 1966), pp. 244 f; C.A.P. 22:19,20

(١٢) قارن اللقب الآشوري « رب خيبالي » ، وبدون شك فقد كان الضباط الذين يرأسهم قائد الحامية في الفنتين يحملون القابا شبيهه بالالقاب الآشورية « رب مي » أي « رئيس مائه » و « رب اشريت » أي « رئيس عشرة » (أنظر : (K.B.M, p. 42, n. 11

(١٣) C.A.P. 20:4; 25:2 حيث كان يشغل هذا المنصب ويدرانج القائد الفارسي الذي اتهمه اليهود باشتراكه في هدم معبدهم .

(١٤) نعرف أن هذا المنصب قد شغله قائد حامية اسوان . أنظر :
K B.M. 8:2; C.A.P. 27.4; 30:5.

(١٥) C A.P. 24.

(١٦) من هؤلاء الاشخاص من تسلم اردبا ونصف من الشعير بينما تسلم آخرون اردبا وعدد آخر تسلم اردبين ونصف . وليس من شك في أن هذه الكميات كانت جرايات شهرية (قارن :
Herodotus, The Histories, trans. Aubrey de Sélincourt (Baltimore, 1965), III, 91).

(١٧) هيرودوت يتحدث عن مصر ، ١٦٨ .

(١٨) ANET, p. 492.

(١٩) M. Streck, Assurbanipal und die letzten Assyrischen Könige his zum Untergang Ninivehs, Vorderasiatische Bibliothek, 7, (Leipzig, 1916); vol. 2, 139.

(٢٠) A. Gardiner, Egypt of the pharaohs (Oxford, 1961),p. 353

(٢١) كان الليبيون يعملون فى الحرس الملكى منذ ايام الاسرة الواحده والعشرين وهم قد استطاعوا — بعد لأى — أن يبلغوا العرش ، فاصبحت لهم اسرة بين الاسر التى حكمت مصر وعرفت عند مانيتون بالاسرة الثانية والعشرين (أنظر : هيرودوت يتحدث عن مصر — ص ١٠٨ ، حاشيه ١).

(٢٢) المرجع السابق : ٣٠ — ٣١ .

(٢٣) المرجع السابق: ص ١٠٨، حاشيه ١ .

(٢٤) الملوك الثانى ٢٢ — ٢٣ .

(٢٥) تثنية ١٧ : ١٦ .

(٢٦) E. Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine (2d ed.; Leipzig, 1912), p. 34.

(٢٧) C. Steuernagel, "Bemerkungen zu den neuentdeckten jüdischen papyrusurkunden . . ," Theologische Studien und Kritiken, 82 (1909), 98.

(٢٨) هيرودوت يتحدث عن مصر ، ١٥٧ .

(٢٩) A. T. Olmstead, "The Reforms of Josiah in Its Secular Aspects," AHR, 20 (1915), 566 ff.

(٣٠) E. Sachar, Aramäische Papyrüs und Ostraka aus einer judischen militär-Kolonie zu Elephantine (Berlin, 1911), vol. 2,13; E. Drioton and J. Vandier, Vol. 2, 13 L'Egypte (4th ed. rev; Paris,1962), p. 677.

(٣١) R.H. Charles, A pocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Oxford, 1913), 2, 96.

(٣٢) Vetus Testamentum, 2 (1952), 131—135.

(٣٣) Ibid.,

(٣٤) H.S.K. Bakry, "Psammetichus II and his newly-found Stela at Shellul," Oriens Antiqvva, 6 (1967), 225-244.

(٣٥) A. Alt, "Psammetich II in Palästina und Elephantine," ZAW, 30 (1910), 288 ff.

(٣٦) Cf. N Aime-Giron, Textes araméens d'Egypte (Le Caire, 1931), 84 ff.

(٣٧) H.Kees, Ancient Egypt, a Cultural Topography (Chicago, 1961), 326.

(٣٨) Gardiner, Egypt of the Pharaohs. 360 f.

(٣٩) Cf Otto Stähelin, "Elephantine und Leontopolis," ZAW, 28 (1908), 180 ff.

(٤٠) H. Anneler, Die Juden Von Elephantine (Bern, 1912), 115 f.

(٤١) ارميا ٤٣ : ٦ .

(٤٢) ارميا ٤٤ : ١ .

(٤٣) بالنسبة لكلمة « مجدل » فهى عبريه تعنى « قلعه » وقد ظهرت الكلمة فى اللغة المصرية القديمة باسم « "mktr" » (Wb. 11, 164. 2-3) ، وفى اغلب الظن أن المقصود بها هنا القلعه التى تقع على الحدد المصرية فى الشمال الشرقى والتى كانت نقطه لانطلاق الجيوش المصرية التى غزت سوريا وفلسطين خلال العصر الفرعونى والتى اطلق عليها المصريون القدماء اسم «تشارو» ومكانها الآن تل ابو صيفه على مسيرة ثلاث كيلو مترات شرق القنطرة (أنظر .
A. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, II, No. 419).
ومما يؤيد هذا الرأى ما جاء على لسان حزقيال فى وصفة لحدود مصر «من مجدل إلى اسوان » قاصدا بذلك الحدود الشمالية والجنوبية (أنظر : حزقيال ٢٩ : ١٠ ، ٣٠ : ٦) .

أما « تحفنحيس» فهى بلا شك « دفناى» وتسمى ايضاً « كوم دفنه» وموقعها على الفرع البيلوزى وعلى مسيرة خمسة عشر كيلو مترا من القنطرة الحالية وفيها وضع بسماتيك الأول حامية من المرتزقه الاغريق (هيرودوت يتحدث عن مصر ، ص ٢٢٣ ، حاشية ٢ . اما «نوف » فيقصد بها منف .

(٤٤) ANET, p. 290.

(٤٥) M. J. Leibovitch, "Pathros," BIE, 17 (1935), 69 ff.

(٤٦) ارميا ٤٤ : ١٥ ومابعدها .

(٤٧) BAR, IV, 989 ، لقد أطلق المصريون القدماء منذ الدولة القديمة على قلعة الفنتين اسم « البوابة الجنوبية » (أنظر .
El-Dissouky, Elephantine in the Old Kingdom, 50 ff.)

(٤٨) لقد كان نسحور مصريا من أهل الدلتا كما كانت الحال مع سائر قواد هذه الفترة .

(٤٩) قارن ، الكلمة العبرية « عام » التى تعنى « شعب » .

(٥٠) W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel (Baltimore, (1942), 168.

(٥١) Gardıner, Egypt of the pharaohs, p. 361.

(٥٢) هيرودوت يتحدث عن مصر ، ١٥٤ .

(٥٣) K.B.M. 7:2

(٥٤) الآرامية لغة سامية شمالية انتشرت فى بلاد ما بين النهرين مع من هجروا اليها ، ثم انتشرت جنوبا فى فلسطين مع عودة اليهود من المنفى إلى وطنهم الأصلى فى عهد كيروس واخيرا حلت محل العبرية (أنظر :

Gardiner, Egyot of the pharaohs, p. 369).

وقد انتشرت اللغة الآرامية بين سكان أشور كلغة المعاملات التجارية والدبلوماسية ، ويوضح سفر الملوك (١٨ : ٢٦) هذا الانتشار قبل ذلك بجيل.

Cf.R.A. Bowman "Arameans, Aramic and the Bible," JNES, 7 (1948), 65—90.

(٥٥) K.B.M., p. 47.

(٥٦) Olmstead, History of the Persian Empire, p. 116.

(٥٧) ومما يؤكد أن الفينيقيين كانوا من العناصر القوية فى الحامية انتشار عبادة الآلهة الفينيقية فى الفنتين. وقد جاء قول هيرودوت بوجود «معكر الصوريين» فى منف ، تأييدا لوجود مرتزقة من الفينيقيين (أنظر : هيرودوت يتحدث عن مصر ، ١١٢) .

(٥٨) C.A.P.1.

هوامش الفصل الثانى

(١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 369.

ومما هو جدير بالملاحظة أن اللغة الآرامية ظلت مستعملة فى مصر حتى أوائل الحكم البطلمى ، الأمر الذى يدل عليه بردية آرميه ترجع إلى ذلك العهد عثر عليها فى قوص . أنظر :

A. H. Sayce and A. E. Cowley, "An Aramaic Papyrus of the Ptolemaic Age from Egypt," PSBA, 29 (1907), 260 - 272.

(٢) لقد اعتقد Cowley (C.A.P., 118f) أن يهود الفنتين استخدموا الآرامية فى الوثائق الرسمية فقط بينما كانوا يتكلمون العبرية فى حياتهم العامة، ولكن وجود خطابات شخصية وشقافات من بين البرديات المكتشفة يدحض مثل هذا الرأى .

(٣) K.B.M., p. 6 f.

(٤) Ibid. 7 : 2.

(٥) Ibid. 5:2; C.A.P. 6:3,

(٦) برأس الجاليات اليهودية فى العصور الحديثة C.A P. 30:1; 22:121
رئيس دينى « رباى» مع زملائه رجال الدين «بيت ـ دين »

(٧) K.B.M. 7:2.

(٨) Ibid. 11:4,6.

(٩) Cf. C.A.P. 2:12; p. 6.

(١٠) Olmstead, History of the Persian Empire, 244 f.

(١١) C.A.P. 24; K.B M., p. 32.

(١٢) C.A.P, 16:3; 6:6; 1:2.

(١٣) C.A.P. 20 4; K.B.M. 8.

(١٤) Olmstead, History of the Persian Empire, p, 245.

(١٥) Ibid.; C.A.P., 248 ff,

(١٦) ANET, 492.

(١٧) Herodotus III, 19 ff.

(١٨) نحميا ١٣ : ١٦

(١٩) Olmstead, History of the Persian Empire, p. 227.

(٢٠) Herodotus III, 89 ff.

(٢١) C.A.P. 13:18,19.

(٢٢) W. Spiegelberg, "Drei demotische Schreiben aus der Korrespondenz des pherendates, des Satrapen Darius' 1., mit den Chnum-Priesten von Elephantine", SPAW (1928), 610.

(٢٣) C A.P. 27.

(٢٤) C.A.P. 11.

(٢٥) Ibid. 35.

(٢٦) Ibid, 7.

(٢٧) Ibid. 44.

(٢٨) Ibid. 45.

(٢٩) K.B.M. 9:9; p. 241.

(٣٠) W. Honroth, O. Rubensohn, and F. Zucker, "Bericht über die Ausgrabungen auf Elephantine in den Jahren 1906—1908." ZÄS, 46 (1909—1910), 19, Abb. 1.

(٣١) Ibid., 28.

(٣٢) K.B.M. 6

(٣٣) Ibid., 9.

(٣٤) ANET, p. 222

(٣٥) K.B.M., p. 209.

(٣٦) Ibid., 7.

(٣٧) C.A.P. 18.

(٣٨) K.B.M. 7 33—39.

(٣٩) ANET, 223 ، لقد كان الـكارش عملة فارسية استخدمت بين اعضاء الجالية اليهودية فى الفنتين باعتبارها عملة المستعمر . وكان الكارش يزن عشر شكل ثقيلة او عشرين خفيفة. وكان الشكل اما ذهبيا او فضيا وكان ينقسم إلى عملات صغيرة منها الربع شكل والحالور الذى يساوى ½ شكل فضى .

(أنظر : C.A.P., pp. XXX—XXXI.)

(٤٠) ANET, p. 222.

(٤١) K.B.M., p. 202.

(٤٢) C A.P. 14.

(٤٣) ANET, 223.

(٤٤) لقد كانت حالة الاماء المصريات اللاتى كن يعملن فى منازل اليهود سيئة للغاية ويبدو ذلك من امتعتهن التى كانت تتألف من ثوب من الصوف ومرآة وسكينة وآنية (أنظر : K.B.m.2) ولقد كانت الاماء تتميزن بالوشم المنقوش على ايديهن والذى يؤكد انهن مملوكات لاسيادهن (Ibid. 5.)

(٤٥) K.B.M. 2.

(٤٦) Ibid.

(٤٧) M. Schorr, Urkunden des altbabylonischen Zivil-und Prozessrechts (Vorderasiatische Bibliothek, 5; Leipzig, 1913), 59, No. 36.

(٤٨) K.B.M. 5.

(٤٩) Ibid, 7.

(٥٠) Ibid. 5,

(٥١) C.A.P. 15.

(٥٢) K.B.M. 8.

(٥٣) C.A P. 28.

(٥٤) K B.M: 8.

(٥٥) Ibid. 5.

(٥٦) Ibid., p. 55. n. 16.

(٥٧) Ibid.5

(٥٨) C.A.P. 10.

(٥٩) يحتمل انه يساوى نصف اردب كما يساوى ½ ١ سية.

(٦٠) K.B.M. 11.

(٦١) C.A.P. 35.

(٦٢) K.B.M·p.83. وعن هذا الموضوع أنظر :

Vincent, La religion des Judeo - araméens d'Éléphantine (Paris, 1937); Meyer, Der Papyrusfund von Elephantione, 38 ff.

(٦٣) K.B.M.1:2.

(٦٤) Sachau, Aramäische Papyrus und Ostraka, vol. 1, Papyrus 1:2; C.A.P. 30:2

(٦٥) C.A.P. 21: 2,

(٦٦) Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine, 67

(٦٧) C.A.P. 22:123—125.

(٦٨) K.B.M. 12 ، وليس من شك فى أنه كان عندهم شيء من نوع ما يتجسد فيه الوجود الالهى .

(٦٩) A. Dupont-Sommer, "Yahɔ et Yeho Sebaot sur des ostraca araméens inédits d'Elephantine," CRAI (1947), 180 f.

(٧٠) قارن ، مزامير ٢٤ : ١٠ .

(٧١) Aimé-Giron, Txtes araméens d'Egypte, 98 ff, No. 99

(٧٢) Murad Kamil, "Papyri araméennes découvertes à Hermopolis Ouest," BIE, 28 (1947), 254

(٧٣) Dupont-Sommer, "Les Syncretisme religieux des juifs d'Elephantine," RHR, 65 (1945), 17 ff.

(٧٤) الملوك الثانى ١٧ : ٣٠ .

(٧٥) ANET, p. 491

(٧٦) Dupont-Sommer, RHR, 65 (1945), 17 ff.

(٧٧) K.B.M, p. 86

(٧٨) C.A.p. 14: 5 ، لقد عبد الآراميون الآلهة المصرية خارج الفنتين ، الأمر الذى يدل عليه نقش آرامى على آنية من صقاره يشير إلى تقديم قرابين امام اوزوريس ابيس . أنظر :

G A. Cooke, A Text-book of North Semitic Inscriptions (Oxford, 1903), 201.

(٧٩) D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria (Chicago, 1927) 2, 229 ff.

(٨٠) C.A.P.7 ، وعن معنى هذا الإسم ، أنظر :

Albright, Archaeology and the Religion of Israel, 174.

(٨١) Dupont-Sommer, "Sabbat et parascéve à Éléphantine d'aprés des ostraca araméens inédits," MAI (1950), 68ff

(٨٢) A. Sayce, "An Aramaic Ostracon from Elephantine," PSBA, 31 (1909), 154 ff

(٨٣) ANET, p. 491

(٨٤) Ibid, p. 491, N. 5

(٨٥) K.B.M, p. 95 f

(٨٦) ANET, p, 492.

(٨٧) Ibid.; C.A.P,32:3.

(٨٨) C.A P, 30:14.

(٨٩) ANET, p. 491.

(٩٠) Vincent, La religion des judéo-araméens d'Elephantine, p 351.

(٩١) ANET, p. 492.

(٩٢) K.B.M, p. 102.

(٩٣) J. B. Chabot, "Les Fouilles de Clermont - Ganneau a Elephantine," Journal des Savants (1944). 136 ff

(٩٤) K.B.M, p. 82.

(٩٥) K.B.M, 11.

(٩٦) Ibid; 2.

(٩٧) C.A.P, 15.

(٩٨) K.B.M, 8.

(٩٩) Ibid, 12.

(١٠٠) C.A.P. 14:5.

(١٠١) Ibid, 2.

(١٠٢) C.A.P ,5:5; 26:12.

(١٠٣) R.O, Faulkner, A Concise Dictionary of Middle Egyptian (Oxford, 1964), p. 195, 199.

(١٠٤) K.B.M, p. 51.

(١٠٥) Ibid, 1,6.

(١٠٦) Ibid. p 11, 12,13 وقد اعتبر Kraeling هذا دليلا على ضعف الادارة الفارسية (Ibid. p.274).

(١٠٧) Ibid, 3 وقارن W.Spiegelberg, Die demotischen papyri der Strassburger Bibliothek, 1:1,

(١٠٨) Ibid, 3.11.

(١٠٩) C.A.P. 6:22, 25:20.

(١١٠) W.Spiegelberg,Die demotischen papyri der Strassburger Bibliothek (Strassbury, 1902), 7.

(١١١) K.B.M, 4.

(١١٢) Spieglberg, Die demontischen Papyri der Strassburger Bibliothek, 25; "Demotische papyrus von der Insel Elephantine," Demotische Studien, Heft 2, Bd, 1 (Leipsig, 1908), 26.

(١١٣) K.B.M. 1:3

(١١٤) W. Erichsen Demotisches Glossar (Kopenhagen, 1954), p. 389; K.B.M, p. 135

(١١٥) K.B.M, 2

(١١٦) J. Leibovitch, "Quelques egyptianismes contenus dans les textes arameens d'Egypte," BIE, 18 (1935), 19 f.

(١١٧) K.B.M, 3.

(١١٨) Erichsen, Demotisches Glosoar, p. 632.

(١١٩) K.B.M, 12:2 وبالرغم من أن هذا التعبير ورد فى العهد القديم الا انه لم يردا بدا متعلقا بالإله يهوا (أنظر : مزامير ١٣٥ : ٢١) .

(١٢٠) Urk. VII, 8

(١٢١) K.B.M, p. 277

هوامش الفصل الثالث

(١) أنظر: J.B. Chabot, "Les fouilles de Clermont Ganneau à Élephantine," Journal des Savants (1944), 137

(٢) أنظر: Vincent, La religion des judeo-araméens d'Eléphantine, 308 ff

(٣) K.B.M, p. 103.

(٤) C A.P. 27 ثم قارن: G.R. Driver, "New Aramaic Documents," ZAW, 67 (1949), 222.

(٥) ANET, p. 492.

(٦) C.A P, 34.

(٧) ANET, p. 492.

(٨) Ibid أن عدم الرد على مندوبى الجالية اليهودية يوحى إلى التفكير بان كهنة بيت المقدس لم تهتز عواطفهم لهدم المعبد اليهودى فى الفنتين ، بل قد يكونوا قد شعروا بنوع من الإرتياح لهدم معبد منافس لمعبدهم .

(٩) Ibid.

(١٠) Cf. C.A.P, 30:17

(١١) Meyer, Der papyrusfund von Elephantine, 89

(١٢) ANET, p. 492 ويحتمل أن يكون حاكم طيبة (أنظر: Olmstead, History of the Persian Empire, p. 366).

(١٣) Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine, p. 90.

(١٤) K.B.M, 12.

هوامش الفصل الرابع

(١) Meyer, SPAW, 51 (1915), 289.

(٢) K.B.M, p. 111.

(٣) Ibid.

(٤) Xenophon, Anabasis II, 1,14.

(٥) K.B.M, p. 112

(٦) C.A.P. 35.

(٧) E. Bickermann, "Notes sur la chronologie du XXXe. dynasty." IFAO, Mémoires, 66 (1934), 77 ff.

(٨) K.B.M, 13.

(٩) Bickermann, IFAO, Mémoires, 66 (1934), 77 ff.

(١٠) تعتبر البرديه رقم ١٣ من مجموعة متحف بروكلين آخر برديه مؤرخه من برديات الفنتين .

(١١) C.A.P, 38.

(١٢) ANET, p. 492.

(١٣) C.A.P, 37.

(١٤) K.B.M, p. 114.

(١٥) C.A P, 34.

(١٦) Cf. Meyer, Der papyrusfund von Elephantine, p 90.

(١٧) K.B.M, p. 67.

(١٨) أشعيا ١٩ : ١ — ١٥ .

(١٩) Olmstead, History of the Persian Empire. p. 424.

(٢٠) K.B.M, p. 117.

(٢١) اشعيا ١٩ : ١٨

(٢٢) E. Bevan, The House of Ptolemy, a History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty (rev-ed.; Chicago 1968), pp. 24 ff.

(٢٣) Philo, Flaccus, 43. See F.H. Colson, philo, with an English Translation, Loeb Classical Library (Cambridge Mass., 1941), 9,327.

الفهرس

رقم الإيداع بدار الـكتب ٤٢٣٧ / ١٩٧٤

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع [illegible]

